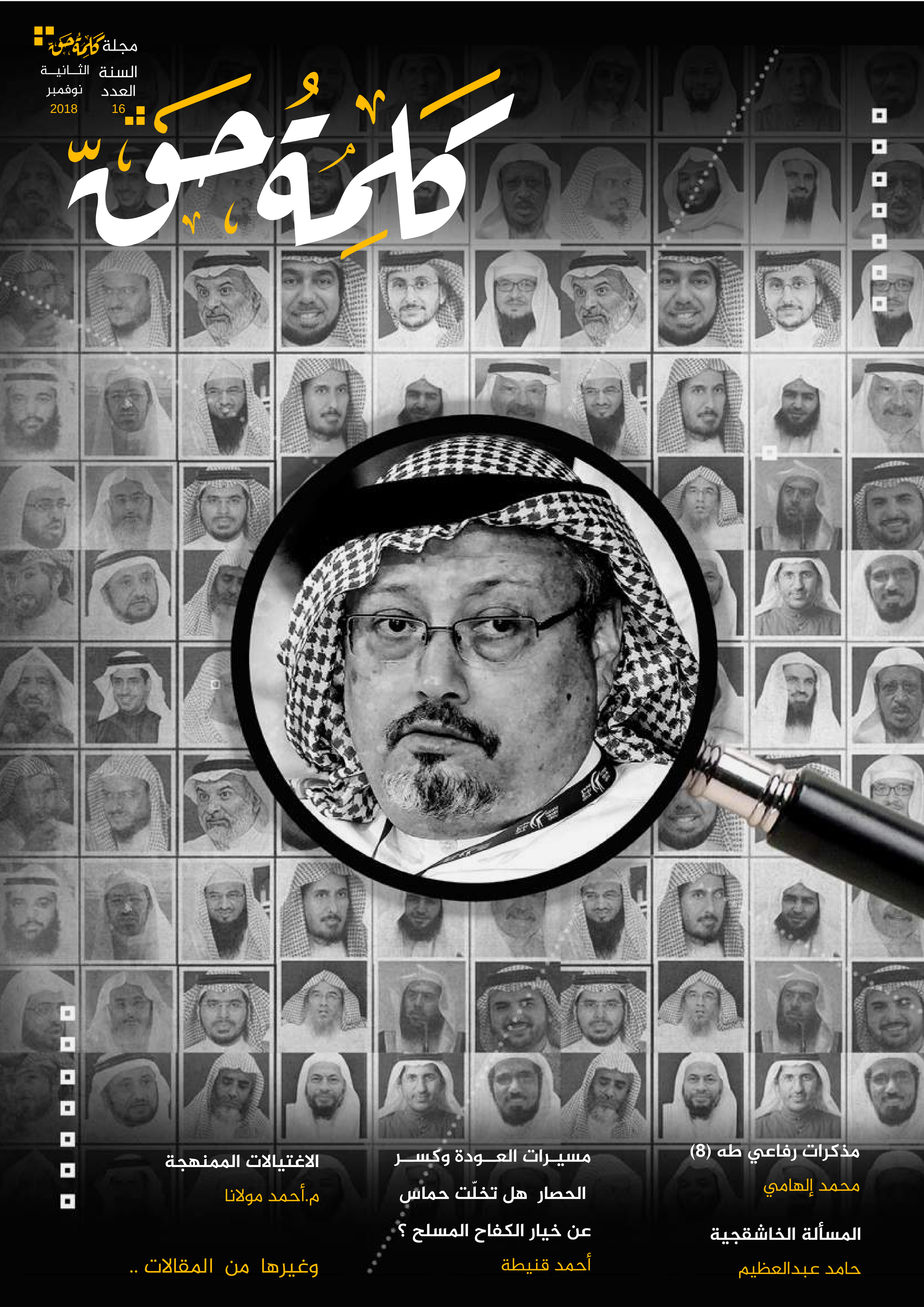


مجلة كلمة حق
السنة الثانية
العدد 16
نوفمبر 2018
كلمة حق
مذكرات رفاعي طه (8)
محمد إلهامي
المسألة الخاشقجية
حامد عبدالعظيم
مسيرات العودة وكسر الحصار هل تخلّت حماس عن خيار الكفاح المسلح ؟
أحمد قنيطة
الاغتيالات الممنهجة
م.أحمد مولانا
وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد

السادس عشر ، نوفمبر 2018



الافتتاحية : سِحْر الفراعين!
محمد إلهامي ٣

مسيرات العودة وكسر الحصار هل تخلّت حماس عن خيار الكفاح المسلح ؟
أحمد قنيطة ١١

الجهاد المعاصر بين منهجين : عزام وبن لادن
كرم الحفيان ١٨

الاغتيالات الممنهجة
م.أحمد مولانا ٢٣

دور الجهاد في نشر رسالة الإسلام (2)
مصطفى البدري ٢٧

مذكرات رفاعي طه (8)
محمد إلهامي ٣٦

كيف تبني تنظيما ثوريا (4)
د.عمرو عادل ٤١

أمثلة من تكتيكات المتمردين
مركز حازم ٤٧

الأحداث الكونية .. وصناعة الوعي
د.عطية عدلان ٥٣

ولِيَعلم الذين نافقوا
د. عبدالعزيز الطريفي ٥٨

بيان علماء الأزهر لتحرير فلسطين ٦٣

أدب الأزمة
د. مجدي شلش ٦٧

المسألة الخاشقجية
حامد عبدالعظيم ٧١

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم

الافتتاحية .. سِحْر الفراعين

محمد إلهامي

لما عاد موسى عليه السلام إلى مصر ونزلت عليه الرسالة تَوَجَّه إلى فرعون، وما إن بدأ الحديث معه في الشأن العظيم: شأن الإله والرسالة حتى ترك فرعون ذلك كله، وتذكر شيئا واحدا: تذكر قتل موسى لرجل بالخطأ في شجارٍ قبل عشر سنوات!! ووصف هذا القتل الخطأ بالجريمة العظمى التي يستعظم أن يذكرها صراحة، قال (وفعَلْتَ فَعْلَتَك التي فعَلْتَ وأنت من الكافرين؟). تأمل في أنه لم يقل "وقتلت نفسا" بل عبَّر عنها تعبير المتهول لذكرها كأنها جريمة خارقة كبرى غير مسبوقة، وتأمل في أنه قال "وأنت من الكافرين" ولم يقل: من الغاوين، من الضالين، من الظالمين.

وهذا الذي يتحدث هو فرعون نفسه، الرجل الذي قتل آلاف النفوس بغير رحمة ولا تردد ولا شعور بالأزمة، الرجل الذي أصدر قرارا بقتل الذكور الرُّضَّع لمجرد إذلال الفئة التي يضطهدها أو لمجرد التخوف الذي رآه يوما في منامه "أن ملكه يزول على يد واحد منهم".. فرعون الذي يمارس القتل يوميا بلا حساب استنكر على موسى قتل رجل واحد بالخطأ وجعلها جريمة عظمى!

ردَّ عليه موسى ببساطة واضحة، قال (فعلتها إذا وأنا من الضالين * ففررت منكم لما خفتكم)، أي: إنما فعلت ذلك عن غير عمد، ولو كان عندكم عدل لبقيت، ولكنني فررت خائفا من ظلمكم. فأثبت على نفسه الخطأ غير المقصود وأثبت على فرعون الظلم الذي يخاف منه البريء فكيف بالمخطيء غير العامد؟

لكن الذي يهمنا هنا الآن هو ذلك السلوك الفرعوني الذي يستبشع قتل رجل واحد بالخطأ بينما هو يمارس القتل بلا حساب ودون شعور بالأزمة!

***

حين جاء موسى بمعجزته جمع له فرعون آلاف السحرة، لم يجمع له ساحرا واحدا أو حتى عشرة.. ولم يتركهم هكذا حتى نظَّم حملة إعلامية طاغية تأييدا لهم، ونطقت أجهزة الإعلام الفرعونية تحشد الناس تحت هذا الشعار (هل أنتم مجتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين)!

جهاز الإعلام الفرعوني لم يقل للناس: لنجتمع ونرى وننظر من الغالب! لا، بل وجَّه الناس في اتجاه وحيد: تأييد السحرة ضد موسى! وانتظار أن يغلبوه!

ولما جاء الموقف المشهود الموعود، آمن السحرة أنفسهم لكن الناس الذين احتشدوا للمشاهدة لم يؤمنوا، لماذا؟ لأن فرعون اخترع في نفس اللحظة رواية جديدة تبناها الجهاز الإعلامي من فوره، هذه الرواية تقول: هذه مؤامرة على مصر، وعلى فرعون، مؤامرة دبَّر لها موسى الرئيس السري لتنظيم السحرة، ولكن الجهاز الأمني والعسكري للدولة المصرية العريقة سيتصدى لهم بالمرصاد (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنكم في جذوع النخل، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى).

وفي التو واللحظة، انقلب السحرة من رموز الوطن المنتظرين في المعركة المنتظرة، إلى رموز المؤامرة على الوطن، ثم إلى مسالخ التعذيب والتقطيع والصلب أمام الناس.

وهكذا وقعت المعجزة نفسها أمام ثلاثة أصناف: السحرة فآمنوا، الناس المحتشدون فخافوا وسكتوا، عناصر الشرطة والجيش فتولَّوْا هم تعذيب السحرة وتقطيعهم!!

لا ينبغي لأحد أن يستهين بأثر الطغيان القاهر على النفوس، هؤلاء الناس لم يجرؤوا على اتباع السحرة الذين احتشدوا لاتباعهم من البداية، وهؤلاء العناصر من الجيش والشرطة قد توحدوا مع الطاغية حتى أنهم عذبوا المؤمنين ولم يحاولوا التفكير في أن يؤمنوا بموسى بعدما رأوا هذه المعجزة الساطعة!



في كل قصة فرعون الطويلة لم يذكر القرآن أحدا قد آمن من آل فرعون إلا رجلا واحدا، مؤمن آل فرعون، ومعه امرأة واحدة هي زوجة فرعون وبها ضرب الله مثلا للذين آمنوا، ليعلم الناس أن صاحب الإيمان الحق يستطيع أن يحقق الإيمان في أحلك أحلك الظروف، في بيت أكفر الناس وأطغاهم وأظلمهم.

***

ما مناسبة كل هذا؟!

مناسبته أننا نعيش الآن قصة فرعون ذاتها لكننا لا نفهم ولا نتعظ!

قبل نحو أسبوعين أعلن جيش حفتر أنه اعتقل هشام عشماوي، ضابط الصاعقة المصري المنشق عن الجيش المصري، والمتهم بتنفيذ عمليات ضد أفراد هذا الجيش!

حتى القنوات والصفحات المحسوبة على الثورة تعاملت مع هشام عشماوي على أنه إرهابي، فكان أحسنهم حالا من طالب بمحاكمة عادلة، وكان أكثرهم تفاؤلا -أو قل: بلاهة- من تساءل: هل ينهي القبض على عشماوي الإرهاب في مصر أم أن السيسي سيبحث عن ذريعة أخرى ليستمر في قبضته على مصر؟!

لقد تعامل الفراعنة المعاصرون مع هشام نفس تعامل سيدهم القديم مع موسى، خرجوا يستبشعون ويستنكرون الدماء البريئة التي تسبب فيها مع أنهم يقتلون يوميا منذ ظهروا بلا حساب ولا شعور بالذنب، سواء في مصر أو في ليبيا، بل لقد سجلوا هم بأنفسهم أرقاما قياسية في المذابح التاريخ في مصر وفي شرق ليبيا! هذا مع أننا لو حسبنا وصدقنا كل ما اتهموه به لن نجد فيها قتلا لأحد من المدنيين بل كانت عملياته ضد المقاتلين المجرمين عناصر الأجهزة التي مارست المذابح في الناس وقتلت منهم الآلاف!

هشام عشماوي نفسه ضابط صاعقة سابق بالجيش المصري، كان يملك أن يستمر في صفوف العسكر، يتمتع بامتيازاتهم وأموالهم ونفوذهم، ويكون له حق قتل أي مصري كما يشاء وهو آمن من العزل والمحاسبة.. كان يملك أن يكون أحد القتلة الأغنياء الأثرياء أصحاب النفوذ والجاه! لكنه لم يفعل..

كذلك فإنه لم يقعد في بيته ويعتزل الصراع، بل تحمل مسؤولية أن يقاوم إلى جوار المظلومين المقهورين المقتولين الذين كان يملك ببساطة أن يكون واحدا من قاتليهم والقاهرين عليهم..

ماذا ينبغي أن يكون تعامل أي كاره للظلم وللفراعنة مع شخصية كهشام عشماوي؟!

المأساة الحقيقية، وهي مأساة مريرة بقدر ما هي مثيرة للضحك والسخرية، وغريبة بقدر ما هي مثيرة للاشمئزاز.. هي أولئك الذين كم هتفوا ونادوا وصاحوا على (شرفاء الجيش) الذين لا يرضون عما فعله السيسي.. أولئك هم الذين يتوافق خطابهم الآن مع خطاب السيسي على أن هشام عشماوي إرهابي!



إذا لم يكن عشماوي واحدا من شرفاء الجيش الذي ناديتم عليهم.. فأين هم أولئك الشرفاء؟ وماذا تريدون منهم أن يفعلوا؟! هل تريدون شرفاء ساكتين خاملين يسمعون ويطيعون للسيسي؟! أم تريدونهم شرفاء يمتنعون عن القتل ثم يستسلمون للاعتقال والمحاكمات العسكرية بتهمة عصيان الأوامر العسكرية؟! أم تريدونهم شرفاء يعتزلون ويجلسون في بيوتهم ويتحولون إلى متفرجين على مشاهد القتل والذبح والاضطهاد يتمتعون بمعاش ومزايا العسكريين السابقين؟! ماذا يفعل (شرفاء الجيش) هؤلاء لكي يرضوا هذه الخطابات المخنثة التي تزعم أنها ثورية فيما هي في الحقيقة ضد كل فعل ثوري طبيعي فطري.. بل وتسميه إرهابا؟!

***

ألا ترى الآن أنه نفس الجمهور الذي كان يرى في السحرة رموز الوطن حين كانوا تابعين للفرعون، فلما انشقوا عليه وآمنوا بالله صاروا أعداء الوطن الخونة المتآمرين عليه؟!..

لقد قالها السيسي بنفسه، قارن بين أحمد المنسي وهشام عشماوي، وهما ضابطان تزاملا في سلاح الصاعقة، أحدهما وهو المنسي مات وهو في جيش السيسي ينفذ أوامره ويمارس القتل والذبح، والآخر وهو عشماوي انشق عن السيسي وجيشه فطورد وقوتل حتى وقع أسيرا!

.. لماذا صار هذا رمزا للوطن وصار هذا عدوا له؟!

ذلك هو خطاب فرعون..وإعلام فرعون..والمصيبة كل المصيبة أن نكون نحن أيضا: جمهور فرعون!!

هشام عشماوي.. رجلٌ طاردته سلطة العسكر في مصر، ثم اعتقلته سلطة حفتر في ليبيا.. هذا رجلٌ تشهد ظواهر الأمور على أنه في معركة الحق ضد الباطل، الباطل والشر اللذان يتجسدان في سلطة السيسي وحفترا!

وهذا الخطاب الانهزامي المخنث الذي لا يتعامل مع عشماوي كبطل حقيقي ضحى بكل شيء بانتقاله من معسكر الغالبين الظالمين إلى معسكر المقهورين المقتولين، هذا الخطاب هو أحد أسوأ ما وقع للثورات العربية كلها، فبه اقتربت النخب الثورية من خطاب السلطة وبه ابتعدت وأبعدت الجماهير عن الطريق الوحيد الصحيح الفعال لأي تغيير.. وهذه الهزيمة على مستوى الخطاب والأفكار هي أسوأ الهزائم بحق لأنها تنزع الشرعية عن الثائرين المقاومين.. ثم لا تبقى مقاومة إلا أن نصرخ في الفضائيات صراخا مؤدبا مهذبا محسوبا أو نجري في أروقة المؤسسات الدولية مع إنفاق ملايين الدولارات ثم لا تسمن ولا تغني من جوع!

ما هكذا كانت الثورات يوما..
ولم يسقط نظام بمجرد المجهود الإعلامي المعارض..
ولم تنجح قضية في أروقة محكمة دولية في إسقاط نظام أبدا..
فما هذا الذي نفعله بأنفسنا حين يتحول الخطاب الذي يفترض أنه ثوري ليكون هو نفسه ضد الثورة وضد الثوار؟!!

كيف يكون المقتولون المقهورون المسحوقون المهاجرون الهاربون من القتل هم أنفسهم حائط صد ضد من حاول أن يعدل هذا الميزان فيضحي في سبيل ذلك بنفسه وماله وأهله.. وكيف بمن يضحي بكل امتيازات المال والنفوذ والجاه لينتقل من صف الغالبين القاهرين إلى الدفاع عن المغلوبين؟! ماذا صنع الأبطال الثوريون، رموز الكفاح والنضال عبر التاريخ، غير هذا؟!.. ماذا صنع جيفارا -مثلا- غير هذا؟!



أكاد أتصور وأتخيل: لو أن هذا الانقلاب لم يقاومه أحد على الإطلاق.. ماذا كان سيُقال عن شعب اغتصبت إرادته ونصبت له المذابح في الشوارع؟! كم كان سيُسَبُّ ويُطعن فيه وفي شرفه ونخوته وكرامته؟! بم كان سيوصف من الجبن والنذالة والذلة والضعف؟!

ثم حين يتخذ الناس رد الفعل الطبيعي الفطري الذي يتخذه أي بشر ذو كرامة، يخرج من يطعن في هؤلاء ويؤكد على وصفهم الذي أطلقته عليهم نفس السلطة المجرمة القاتلة (إرهابيون)!!

هل نحتاج كل هذا الكلام والتطويل للإقناع بما هو بديهي فطري طبيعي.. شعب ذُبِح فخرج منه من يقاوم ويحاول تعديل الميزان.. ولم يتوجه في عمله هذا إلا ضد أدوات السلطة المجرمة التي تنفذ القتل والتعذيب والإجرام؟!



أين أولئك من القرآن الكريم ومن حديث النبي صلى الله عليه وسلم؟! بل أين أولئك من شعور البشر وفطرتهم واستجابتهم الطبيعية إذا أريد بهم الذل؟! بل أين أولئك من شعور الحيوانات التي تقاتل عن نفسها وعن صغارها وتدفع عن نفسها وعنهم الأذى بما استطاعت؟!

هل حقا لو كنا في عهد نبي الله موسى كنا سنؤمن به رغم أنف فرعون؟ هل كانت ستقنعنا معجزاته أم سيرهبنا سيف الفرعون وإعلامه وعسكره وشرطته لكي نؤمن بفرعون ونكفر بالله، ونصدق رواية فرعون ذي العذاب الحاضر وننصرف عن نبي الله؟!

هذا سؤال مرعب حقا لمن كان يؤمن بالله ويخشى على نفسه!

ولئن كان الله قد أهلك فرعون وجنوده غرقا، فلقد كان هذا آخر إهلاك الله لأعدائه، فمن بعدها كلَّف الله عباده الصالحين بالجهاد والمجاهدة للطغاة والمجرمين الظالمين، وكلَّفهم بالعمل لإقامة الدين، فلا ينتظرنَّ أحدُ نصرا ينزل من السماء على قوم لم يجاهدوا..



فكَّ الله أسر هشام عشماوي وأمثاله، وثبَّتهم وأيدهم، وصرف عنهم الشر والسوء.. وإنه والله لأولى بالتعاطف من خاشقجي، ولكن عزاؤنا أن موازين السماء غير موازين الأرض، وما هي إلا فترة من الزمن حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ثم يُنصب ميزان العدل الحق المبين، وحينها تُكشف الحجب ويظهر المستور، وترى مقامات الناس عند الله غير مقاماتهم في هذه الدنيا.. والله أحكم الحاكمين.

***

مسيرات العودة وكسر الحصار

هل تخلّت حماس عن خيار الكفاح المسلح؟!



أحمد قنيطة

" حالة من الغضب والغليان يعيشها الشعب الفلسطيني في قطاع غزة جراء الحصار المستمر منذ **١٢ عام**، والذي ضرب بأطنابه في جميع مناحي الحياة ومقومات المعيشة، وأتى على الحاجات الماسة للمواطن الغزي من ماء وغذاء ودواء وكهرباء ومعابر وغيرها من الضروريات الأساسية للحياة الآدمية، حيث يعيش **٢ مليون** فلسطيني فصول المعاناة اليومية في سجن كبير يُسمّى "غزة" في ظل صمت دولي رهيب، وتآمر عربي رسمي يسعى للتخلص من الإزعاج الذي تسببه غزة بثباتها وعنفوانها، ووقوفها كعقبة كؤود رافضة لتمرير المؤامرات الرامية للتطبيع مع الاحتلال الصهيوني، وصولاً لتصفية القضية الفلسطينية بإلغاء حق العودة للاجئين الفلسطينيين، واعلان القدس عاصمة لكيان الاحتلال الصهيوني فيما عُرف ب"**صفقة القرن**". "

غزة التي ما زالت تكتوي بنار الحرمان والتجويع أرادت هذه المرة أن تصرخ بأعلى صوتها في وجه المتآمرين بطريقة إبداعية جديدة وغير معهودة، لينتفض عشرات الآلاف من أهل غزة بصدورهم العارية وحناجرهم الملتهبة ويتجهوا نحو الحدود الشرقية عند نقاط التماس مع الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ م ، ويشتبكوا مع جنود العدو الغاصب بشكل مباشر ويعلنوا للعالم بأسره رفضهم للخنوع والركوع أو التسليم بالمؤامرات التي تُحاك ضد القضية الفلسطينية، فكانت المسيرات السلمية الشعبية الهادرة التي سُميت بـ **"مسيرات العودة وكسر الحصار"** في ٣٠ مارس من العام الجاري ٢٠١٨ م، والتي تزامنت مع ذكرى يوم الأرض الذي يحييه الفلسطينيون في مثل هذا اليوم من كل عام.

مسيرات العودة وكسر الحصار وفي حالة فريدة من نوعها جسدت الوحدة الحقيقية بين فصائل المقاومة الفلسطينية من جهة، والفعاليات الشعبية والمدنية على اختلاف مشاربها الفكرية ومنطلقاتها السياسية من جهة أخرى لأول مرة في تاريخ الصراع مع الاحتلال الصهيوني، الأمر الذي أعاد الحياة من جديد للوعي الجمعي الفلسطيني الذي تعرّض لضربات قاسية من العدو الصهيوني وبتنسيق واضح مع السلطة في رام الله بقيادة محمود عباس، مرة بالحرب العسكرية الطاحنة، وأخرى بالحصار الخانق إمعاناً في الضغط على غزة كي ترفع الراية البيضاء، وتكفر بنهج المقاومة وتذوب في مشروع الاستسلام والانبطاح الذي تقوده حركة فتح والسلطة الوظيفية في رام الله.

المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حركة حماس التي تسيطر على غزة فعلياً، ومنذ فرض الحصار الجائر على القطاع حاولت بشتى السُبل اختراق الجدار الصلب للحصار وسعت بكل الوسائل "سياسياً واعلامياً وجماهيرياً وحتى عسكرياً" للتخفيف من وطأته على الحاضنة الشعبية للمقاومة، لكنها دائماً ما كانت تصطدم بجدار الرفض والنكران من أباطرة الحصار المتربصين بحق شعبنا في الحياة الكريمة ، ليكون الشعب المُحاصر بين خيارين لا ثالث لهما: إما التمسك بنهج المقاومة والكفاح المسلح لتحرير فلسطين وإفشال مؤامرات التسوية الظالمة، وإما الحرمان من لقمة العيش وحليب الأطفال وعلاج المرضى وفرض مزيد من العقوبات الاقتصادية على القطاع المُنهك أصلاً!



حركة حماس والفصائل الفلسطينية استشعرت خطورة الموقف، وتنبّهت لفصول المؤامرة التي تهدف لضرب الاستقرار الداخلي وتفتيت النسيج الاجتماعي المتماسك من خلال تجويع الشعب المقاوِم في غزة ومحاربته في حاجاته الأساسية، رغبة في دفعه للثورة على مقاومته الباسلة وقيادته المجاهدة تحت وطأة الجوع والحرمان والزيادة المهولة في نسبة البطالة والعاطلين عن العمل، حيث سعى العدو الصهيوني وسلطة عباس في رام الله طيلة سِنِيّ الحصار القاسية لتحميل المقاومة مسئولية الحصار، بسبب رفضها للخضوع لمشروع سلطة أوسلو الانهزامي الذي يرنو لنقل نموذج الحكم في الضفة الغربية إلى غزة المجاهِدة، ذلك النموذج الذي يحارب المقاومة ويُلاحق المجاهدين ويقدّس "التنسيق الأمني" مع الاحتلال ويسعى لحل القضية الفلسطينية عبر مزاعم السلام والسلمية والحلول الدبلوماسية!

هذا التحدي الكبير والخطر المحدق بمشروع المقاومة دفع الفصائل الفلسطينية لتنحية خلافاتها الفكرية والسياسية جانباً، والتوافق على العمل المشترك للخروج من عنق الزجاجة وتخطي هذه المرحلة الصعبة للوصول بشعبنا ومقاومته نحو بر الأمان، فكان التوافق على دعم "مسيرات العودة وكسر الحصار" بكل السبل والوسائل، حيث تداعت القوى الشعبية والفصائلية للتوافق على توجيه الغضب العارم والبركان

الثائر الذي أثقل كاهل شعبنا نحو العدو الصهيوني المتسبب الحقيقي في حصارنا وأزماتنا، سواء بطريقة مباشرة بالسيطرة على جميع المنافذ البرية والبحرية والجوية، أو من خلال أدواته المتمثلة في سلطة أوسلو برام الله التي أعلنت بكل انتهازية مقيتة فرض عقوبات اقتصادية قاسية على غزة، وأنه لا يمكن فك الحصار عن غزة إلا بتمكينها من كل مفاصل الحياة في غزة بما فيها اخضاع "سلاح المقاومة" لسيطرتها المطلقة، وأنه لا سلاح شرعي سوى سلاح الأجهزة الأمنية.

" الشعب المحاصر الذي قدّم التضحيات الجسام بالآلاف من الشهداء ومئات الآلاف من الجرحى، وتحمّل التهجير وهدم البيوت جراء العدوان الصهيوني على غزة في ثلاث حروب مدمّرة خلال ست سنوات فقط، والذي صبر وصمد ولم يخذل أبناءه المجاهدين في ميدان القتال وساحات النزال، نجح في قلب الطاولة بوجه المتآمرين واستجاب بشكل سريع للنداءات الشعبية والفصائلية للمشاركة في المسيرات، ليخرج بزخم ثوري كبير وبمشاركة فاعلة من جميع فئات الشعب الفلسطيني وخاصة فئة الشباب، ويبدعوا في مشاغلة جنود العدو وإرباكهم على طول الحدود لقطاع غزة، والتنغيص على حياة المستوطنين المحتلين لبلداتنا وقُرانا المحتلة على تخوم غزة فيما يسمى ب **"مستوطنات غلاف غزة"**، حيث أضحت المسيرات تشكل تهديد حقيقي للأمن والاستقرار للمغتصبين الصهاينة مما دفع بعض العائلات الصهيونية للهجرة نحو المناطق الأكثر أمناً في الشمال المحتل. "

نجح شعبنا المجاهد بكل اقتدار في تجاوز المؤامرة على مشروع المقاومة، وما زال يكافح من أجل كسر الحصار الظالم المفروض على غزة وشعبها ومقاومتها، وما زال يجاهد في سبيل افشال **"صفقة القرن"** بتمسكه بحق العودة وعدم القبول إلا بالقدس التاريخية كعاصمة لفلسطين، وأثبت شعبنا عمق وعيه بخياراته التي ارتضاها وآمن بها وضحى من أجلها، وعلى رأسها خيار الجهاد والكفاح المسلح كخيار استراتيجي لتحرير فلسطين كاملة من بحرها إلى نهرها، فرسم لوحة إبداعية فريدة بالتناغم بين استخدام الفعاليات السلمية والشعبية كخيار مرحلي اضطراري مرة، وبين استخدام المقاومة للخيار العسكري مرة أخرى للضغط على العدو الصهيوني ولجمه عن التمادي في عدوانه لفرض حالة من توازن الرعب.

شهدت الأشهر السبعة الماضية من فعاليات "مسيرات العودة وكسر الحصار" استخدام الشباب الثائر وبطرق بدائية وإبداعية البالونات الحارقة والمتفجرة وطيّروها بالمئات نحو المغتصبات في الأراضـي المحتلة عام **١٩٤٨**م فأحرقت قلوبهم قبل أن تحرق آلاف الدونمات من محاصيلهم الزراعية، وبثت الخوف والرعب في صفوفهم، وكذلك "فعاليات الإرباك الليلي" حيث يخرج الشباب على الحدود بشكل دوري وشبه يومي ليلاً ويقوموا بأعمال تفجير للمفرقعات وإشعال الإطـارات المطاطية، ما جعل حياة المغتصبين في المناطق المحاذية لغزة جحيم لا يُطاق، وأصبحوا يطالبون حكومتهم المجرمة بإيجاد حلول خلاقة لإنهاء الحالة الثورية على الحدود مع غزة بأي طريقة سواء بفك الحصار عن غزة أو بحرب عسكرية لإنهاء حكم حماس.

فصائل المقاومة لم تقف مكتوفة الأيدي في ظل هذه الجولة من الحراك الجماهيري والثبات الشعبي الأسطوري التي أسفرت عما يزيد عن **٢٠٠** شهيد وعشرات الآلاف من الجرحى، وخاضت **٤** مواجهات عسكرية ضارية مع العدو الصهيوني الذي اعتقد أن المقاومة في ظل هذا الحصار الخانق والأزمات الإنسانية المتعاقبة ستقف عاجزة عن الرد خوفاً من الوصول لحرب ستكون آثارها مدمرة على القطاع المنكوب، فجاء رد المقاومة بكل قوة وعنفوان وأمطرت مغتصبات العدو بعشرات الرشقات الصاروخية رداً على التمادي الصهيوني بقصف المواقع والمنشآت المدنية في غزة، ليعود العدو صاغراً للالتزام بقواعد الاشتباك ويعلم أن المقاومة ما زالت تثق بنفسها وقدراتها وأن لديها المزيد من أوراق الضغط التي تستطيع أن تواجه به الإرهاب والصلف الصهيوني.

وتستمر مسيرات العودة وكسر الحصار بزخمها الشعبي والجماهيري المعهود، وتستمر المقاومة في دعمها اللامحدود للحراك الثوري الجماهيري، واضعة أصبعها على الزناد، معلنة أن الخيار العسكري لا زال مطروحاً على الطاولة ما لم يرضخ العالم الظالم لمطالب الغزيين الثائرين برفع كامل للحصار كمطلب إنساني بحت، ليعيش شعبنا بحرية وكرامة في ظل توفُّر الحد الأدنى من مقومات الصمود لمواصلة مشواره الجهادي نحو تحقيق حلم النصر والتمكين، وطرد المحتل الصهيوني من بلادنا المقدسة، ويقولون متى هو؟! قل عسى أن يكون قريباً.



كرم الحفيان

الجهاد المعاصر بيـن منهجيـن عزام و بـن لادن

مقدمة

مروان حديد رائد الحركية الجهادية في سورية التي تجسدت بتنظيم الطليعة المقاتلة، الملا محمد عمر زعيم المشيخية المجاهدة في أفغانستان الممثلة بحركة طالبان، أحمد ياسين مؤسس الإخوانية المقاومة في فلسطين أو ما عرف لاحقاً بحركة حماس، عمرعبدالرحمن الأب الروحي للجماعة الدعوية المحتسبة ثم الجهادية في مصر: الجماعة الإسلامية، شامل باساييف قائد القوات الشيشانية النظامية ثم غير النظامية في حروب الاستقلال ضد روسيا إبان تفكك الإتحاد السوفيتي، وغيرهم الكثير من الأسماء اللامعة في سماء الجماعات والشخصيات المجاهدة والجهادية على امتداد خمسين عاماً خلت.

إلا أن الاسمين الأشهر والأكثر رمزيةً سواءً على صعيد الإعلام العالمي أو (في عيون غالب الشباب المسلم المقاتل) حول العالم هما: **عبد الله عزام وأسامة بن لادن**.

"يعتقد البعض أن مدرسة بن لادن والقاعدة هي التطور التاريخي التسلسلي لرؤية عبدالله عزام وطريقته في الجهاد (خاصة العالمي) منه، بينما يرى آخرون أن البون شاسعُ بين المنهجين في الفكر والممارسة وهما نقيضان لا التقاء بينهما. تحاول الأسطر القادمة فك الاشتباك ومقاربة الحقيقة عبر استنطاق إرث الرجلين النظري والعملي، والمرور سريعاً على مساحات الاتفاق والاختلاف، مع الأخذ بعين الاعتبار ما استقر من نهجهما دون ما سبق أو ما شذ."

بادئ ذي بدء، تجدر الإشارة إلى المبادئ الرئيسية الجامعة بينهما والمكونة من خمسة عناصر:

أولاً: التصور (الفلسفي) لطبيعة الدين والحضارة الإسلامية

وأهم انعكاساته هو إدراك جوهر الصراع (لاسيما المعاصر) وأولوياته بين الأمة المسلمة وأعدائها، والمقتبس بالدرجة الأولى من كتابات وتقعيدات المفكرين سيد ومحمد قطب.

هذا التصور دندن باستمرارعلى: تفرد ومركزية منظومة التشريع في حياة المسلم على مستوى الفرد والمجتمع والدولة، وفاصَل كل من ينازع أو ينتزع شيئاً من خصائصها، وجهر بالعداوة لمنظومة الحكم العلمانية المحلية والعالمية، واصفاً إياها بالجاهلية المعاصرة، التي ينبغي العمل على الإطاحة بها لتعود قوانين الإسلام لمنصة الحكم مجدداً.

ثانياً: طريقة التغيير

تنحصر بثورات شعبية بقيادة إسلامية، إذ يعتقد الشيخان بعدم جدوى حرب التنظيمات ضد السلطات الجاهلية، كتلك التي خاضت غمارها بعض المجموعات الجهادية المسلحة (منفردة) ولم يكلل أي منها بالنجاح، نظراً للفارق الرهيب في العدد والعدة والإمكانات. بيد أنهما لا يخفيان إكبارهما لمحاولات بعض الجماعات وتاريخها الحافل بالعمليات الفدائية الجسورة ضد رؤوس الأنظمة وكبار زبانيتهم.



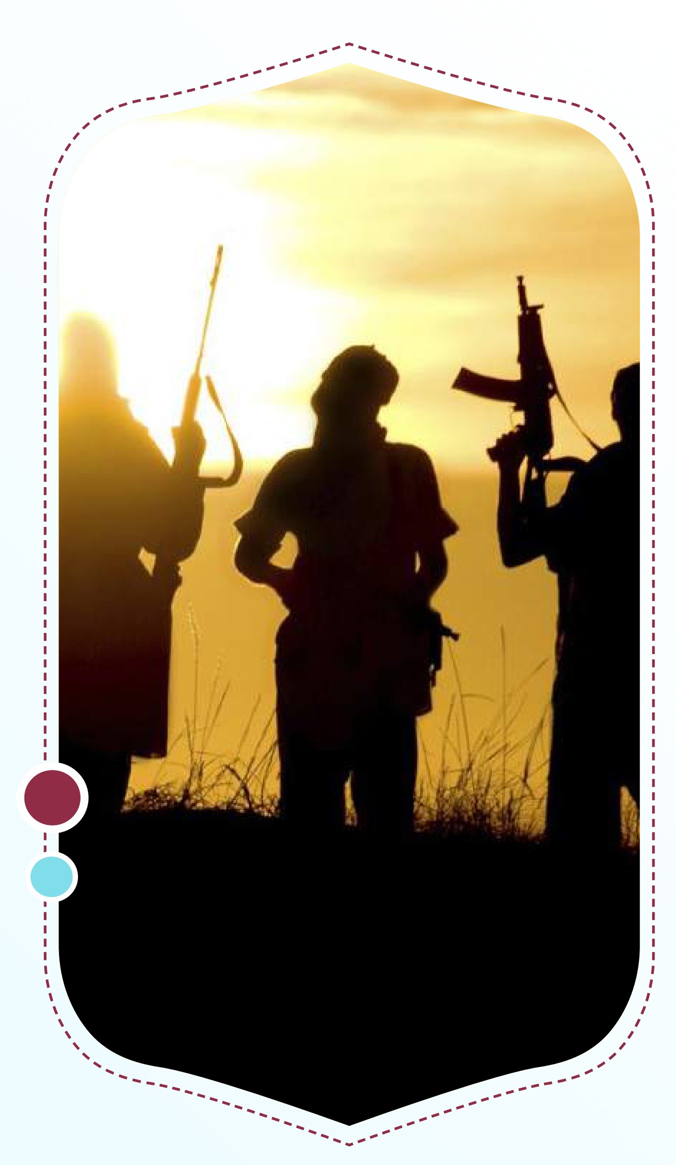
من ناحية أخرى، لا يؤمن كلاهما بنجاعة الطريق البرلماني الدستوري السلمي في التخلص من النظم الحاكمة والقضاء على فسادها وإفسادها.

ثالثاً: أولوية العدو البعيد

ولأن الثورات الشعبية (عادةً) ما تحتاج لوقت ليس بالقصير ريثما يشتعل أوارها تدريجياً من خلال: الدعوة للفكرة، والإعداد للمواجهة، والحشد للجماهير والاختراق لمؤسسات الدولة، أو لتنفجر من تلقاء نفسها نتيجة: إحساس الشعوب بتراكم المظالم والانتهاكات الممنهجة، أو العدوان الصارخ على هويتها الدينية والثقافية.

فإن عزام وبن لادن يعتمدون في رؤيتهما الجهادية سياسة البدء بقتال العدو البعيد المحتل وتأجيل الدخول في صدامات مبكرة مع العدو القريب المحلي. ومع ذلك تتباين اختياراتهما في تحديد ماهية العدو البعيد المستهدف، وآلية وأدوات مواجهته، سنتطرق لها في محورالفروقات.

رابعاً: الجهاد فرض عين على كل مسلم



وهذه المسألة من أظهر وأبرز المشتركات العملية بين الطرفين. حتى إن عزام كان يشدد في هذه المسألة (على غير عادته)، ويغلظ القول أحياناً على من يفتي بأنه فرض كفاية.

وقد ألف كتاباً بعنوان: "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فـروض الأعيان" قرر فيه: وجوب الجهاد على كل مسلم قادر، وإثم كل من لا يجاهد، ونادى بنفير المسلمين عامة والعلماء خاصة لجهاد الكافرين المحتلين للبلدان الإسلامية.

ولعل هذه النقطة هي من دفعت الكثيرين لاعتقاد تماثل نموذجي عزام وبن لادن في العمل والفكر الجهادي.

خامساً: العقيدة السلفية المعاصرة

يتبنى الرجلان المرجعية السلفية فيما يخص تفاصيل العقائد النظرية. وتهيمن هذه المدرسة بشكل كبيرعلى الحالة العلمية بالسعودية وغالب الخليج العربي، ويتمسك بها غالب الملتزمين دينياً هناك. أما في باقي العالم الإسلامي الممتد شرقاً وغرباً من جاكرتا إلى طنجة، فتبرز المدرستان الأشعرية والماتريدية كتيار عام سائد ومستقر منذ أزمان بعيدة.

وبالرغم من الاتفاق والتناغم بين المنهجين فيما سبق، إلا أن هناك مساحات خلافية كبيرة وحساسة لا تقل أهمية ولا تأثيراً عن المشتركات، نجمل أبرزها في خمسٍ أيضاً:

أولاٌ: من الجهاد الآدابي إلى الجهاد الأدبياتي

يؤمن عزام بضرورة تلقي المجاهدين قسطاً من التربية قبل حمل السلاح، كيما لا تنحرف البندقية باتجاه رؤوس المؤمنين، فالتربية الإيمانية الأخلاقية تشكل عنده الأرضية الصلبة التي لا يمكن أن يقوم عملٌ قتاليٌ راشد إلا بالارتكاز عليها، وهذا المبدأ تجده مكرراً وبجرعات كبيرة في توجيهات عزام، ومقدماً على التوجه والتيار الفكري.

أما بن لادن فيغلب على خطاباته الإعلامية وأدائه العملي التمحور حول الدعوة إلى التمسك بأدبيات القاعدة الفكرية والقتالية بصورة أكبر وأكثر إلحاحاً من ترسيخ الجوانب التربوية السلوكية العامة.

ثانياً: العقلية الفقهية بين الأصولية والوهابية

يحمل عبد الله عزام (الحاصل على دكتوراه في أصول الفقه من جامعة الأزهر) عقليةً أصولية تعي تنوع القواعد والطرق المستخدمة في استنباط الأحكام، وما يتفرع عنها من مسائل فقهية كثيرة تقع في دائرة الخلاف الواسع المقبول بين المذاهب السنيّة المعتبرة، ومنها بلا شك مسائل كثيرة تُعنى بشؤون السياسة والحرب والجهاد. فلذا تجده يتحاشى تعميم الأحكام على الأشخاص التابعين للمؤسسات أو الأحزاب أو الجماعات ويجنح للتفصيل، خاصةً في فتاوى التكفير أو الدماء، الملمح الذي لا يُلحظ عند بن لادن،

بل يظهر عكسه في أحيانٍ كثيرة، فتجد تعميماتٍ كثيرة في تنزيل الأحكام على جموع من المخالفين ومنهم الإسلاميون المنخرطون في البرلمانات أو الوزارات أو التحالفات مع (السلطات الجاهلية)، يرجع هذا إلى التأثر بالعقلية الفقهية الوهابية التي تجري الأحكام على الظواهرالمتماثلة والوسائل المشتركة دون التحري عن البواعث وقرائن الحال وبوصلة الأعمال.

ثالثاً: الجهاد العالمي بين المناصرة والمهاجرة



يتمحور البرنامج الجهادي المعولم عند عزام حول كيفية مؤازرة مشاريع المقاومات الإسلامية المتعددة في مختلف الأقطارالإسلامية، عبر حشد الدعم الإنساني والخبراتي والعسكري (المجاهدين المتطوعين)، وتوجيهه وفق السياسة التي يرتئيها قادة كل مقاومة دون التدخل في تفاصيل إستراتيجية كل ميدان جهادي وكأنّه يقول بلسان حاله: أهل مكة أدرى بشعابها.

في حين يطلق بن لادن تسمية المهاجرين على النافرين لنصرة إخوانهم في شتى البلاد المحتلة، ولهذا التوصيف دلالات وتبعات شرعية تفيد الأحقية بقيادة الجهاد والمشروع الإسلامي بشكل عام.

ولذا يعتبر بن لادن تنظيم القاعدة في أفغانستان: القيادة المركزية للجهاد في العالم، وعلى أفرعها في مختلف البلاد أن تسير وفق الخطة التي رسمتها القاعدة الأم بغض النظرعن موافقتها أو مخالفتها للاختيارات السياسية والتكتيكية لمجاهدي تلك البلاد، تماماً كما فعلت القاعدة في أفغانستان بإعلان جهاد يهود وصليبيي العالم أجمع دون الرجوع إلى الأفغان وعلى رأسهم حركة طالبان في ذلك الوقت.

رابعاً: حرب النظام العالمي أم دفع الصائل المباشر؟

يركز بن لادن في إستراتيجيته ونهجه القتالي على ضرب رأس النظام العالمي من باب "فقاتلوا أئمة الكفر"، وذلك عبر التركيز على استنزاف أمريكا وحلفائها الغربيين باستهداف مصالحهم (العسكرية والاقتصادية) ومواطنيهم في جميع بقاع الدنيا، مما سيؤدي وفقاً لمخططه لانحسار النفوذ والهيمنة الأمريكية على العالم الإسلامي وإنتاج مناخ مناسب للتحرر والإطاحة بأنظمة الحكم المحلية العميلة.

هذه النظرة يخالفها عزام من زاويتين:

(١) انطلاقاً من فهمه لفقه دفع الصائل في الشريعة الإسلامية وسياسة تحييد الخصوم، فهو يميل إلى تحريركل أرض إسلامية من صائلها الرئيس المباشر وعملائه دون توسيع دائرة الخصوم في كل قضية تحرر.

(٢) لم يذكرعن عزام دعوة أو تجويزخطف الطائرات وتفجيرالحافلات المدنية، لا في روسيا ولا أمريكا ولا غيرهما.

خامساً: ماهية الخلاف مع الجماعات الإسلامية وكيفية إدارته

من خلال استقراء رسائل بن لادن العلنية وما كُشف من السرية ك (وثائق أبوت أباد)، يظهر لك بجلاء تصنيف بن لادن للكثير من (أخطاء) الجماعات والشخصيات الإسلامية المقاتلة (في أفغانستان والعراق وفلسطين والصومال وغيرها) ضمن الأخطاء العقدية، التي تمس أو تنقض التوحيد وليست مجرد سياسة أو إستراتيجية خاطئة.

وعلى الصعيد العملي تراوحت العلاقات في ساحات الجهاد بين القاعدة وكثير من الجماعات بين: التنسيق تارة والمهادنة تارة، والاقتتال الممزوج بالتكفير تارة أخرى.

على الجانب الآخر، رفض عزام تأسيس تنظيم مستقل واكتفي بنشر ودمج المجاهدين العرب في الفصائل الأفغانية المتعددة، وكان يحذر بشدة من المشاركة في أي اقتتال بيني.



وعلى الرغم من اختلافه مع الكثير من الجماعات السلمية في الوطن الإسلامي، وتحفيزه للجميع على تلافي جوانب: التقصير في الجهاد والإعداد، والسلبية أو الضعف السياسي، إلا أنه كان: حريصاً على التحذير من الطعن في توحيدهم، وداعياً إلى التكامل بين الجماعات والشخصيات الجهادية والدعوية والسياسية والعلمية ما لم تكن عميلة.

خاتمة

حاولت هذه المقالة أن ترسم تصوراً عاماً موجزاً عن منهجي عزام وبن لادن في الجهاد، كونهما من أكثر الشخصيات تأثيراً في وجدان الشباب المجاهد ومسيرة الجهاد العابر للحدود في عصرنا الحالي. وتطرقت لأبرز نقاط الاتفاق والخلاف بينهما وخلاصتها:

أن عزام وبن لادن انطلقا في فكرهما وحركتهما من ثلاثة مرتكزات مشتركة:

(١) الأرضية الفكرية لسيد قطب

(٢) الروح الجهادية والثائرة

(٣) العقيدة السلفية المعاصرة، إلا أنه مع الممارسة وتبلور مدرسة كل طرف ظهرت عدة فروق فارقة، مردها بشكل كبير إلى: العقلية المهيمنة والمنظمة والمركبة للمرجعيات الثلاث، والبيئة الدينية الاجتماعية المحيطة بكل طرف.

الاغتيالات المنهجة

م. أحمد مولانا

(إن الأعمال العسكرية التي تُنفذ دون تقييم آثارها السياسية، تؤدي في أفضل الأحوال إلى انخفاض الفاعلية، وفي أسوأ الأحوال تكون غير مجدية).

الدليل الميداني للجيش الأميركي لمكافحة التمرد

تقدم تلك الجملة الموجزة عدة دروس مهمة، من بينها أن الاعتماد على القوة العسكرية فقط دون النظر لكيفية أو مآلات استخدامها قد يجلب نتائج سلبية. ورغم أن أميركا هي أقوى دولة حالياً في النظام الدولي المعاصر، إلا أنها تحرص على تحقيق أكبر قدر من أهدافها بأقل قدر من التكلفة.

وقد تعلمت من أخطائها في غزو العراق، فاعتنت بداية من عهد أوباما بنمط الاغتيالات الممنهجة لقيادات وكوادر التنظيمات التي تصنفها ضمن خانة الأعداء بدلاً من شن الحروب المكلفة ضدهم. حتى أن الجيش الأميركي أصدر دليلاً إرشادياً لعمليات الاستهداف بعنوان (ATP3 - 60 - Targeting). ونُشرت آخر نسخة معدلة منه في مايو ٢٠١٥ .

بينما على الضفة الأخرى نشاهد كيف تضرب العشوائية جنبات معظم الحركات الإسلامية، فتتكبد تلك الحركات الكثير من التكاليف البشرية والمالية من أجل تحقيق أهداف ثانوية أو الحصول على نتائج غير مؤثرة في مسيرة الصراع مع الأعداء.

خطورة الاغتيالات ودور الاستخبارات

لا تنفذ أميركا اغتيالات أو عمليات قتل عشوائية لخصومها، وإنما تدرس كل عملية وفق معايير موضوعية محددة، وذلك لأن لعمليات الاغتيال والقتل تداعيات ينبغي حسابها جيداً، فينص الدليل الميداني للجيش الأميركي لمكافحة التمرد على أن (قتل أو أسر المتمردين يكون ضرورياً بالأخص عندما يعتمد التمرد على التطرف الديني أو الأيديولوجي. ومع ذلك فإنه يتعذر قتل كل متمرد. كما أن الشروع في تنفيذ ذلك قد يؤدي إلى نتائج عكسية في بعض الحالات، فهو يخاطر بإثارة غضب السكان، وقد يسفر عن ضحايا وشهداء يلتف حولهم المجندون الجدد، وينتج دوائر مغلقة من عمليات الثأر والانتقام).

وهنا يأتي دور أجهزة الاستخبارات التي ترسم خريطة واضحة للحركات المتمردة وقادتها وكوادرها، ودوافعهم للانخراط في التمرد. (فبدون استخبارات جيدة، ستبدو قوات مكافحة التمرد كملاكم أعمى يبدد طاقته ضد خصوم غير مرئيين، وربما تتسبب في أضرار غير مقصودة. بينما مع وجود استخبارات جيدة، ستكون كجراح يستأصل الأنسجة السرطانية ويحافظ على سلامة الأعضاء الحيوية الأخرى) وفقا لتعبيرات دليل الجيش الأميركي.

فليس كل الخصوم تحركهم دوافع واحدة أو يمثلون خطراً متماثلاً (فقد تكون هناك مجموعات متعددة لديها أهداف مختلفة، وتحركها دوافع متنوعة. وتتطلب هذه الحالة مراقبة أهداف ودوافع كل مجموعة بشكل منفصل).

بحيث (يتمكن القادة من تحديد أفضل طريقة لمواجهة كل جماعة، وهذا يشمل أيضاً تحديد الجماعات التي تتسم أهدافها بالمرونة الكافية لدرجة تسمح بإجراء مفاوضات مثمرة معها، وتحديد الكيفية التي يتم فيها التخلص من العناصر المتطرفة دون تنفير السكان).

ويقسم دليل الجيش الأميركي لمكافحة التمرد هيكل المتمردين إلى خمسة فئات متداخلة: زعماء الحركة، المقاتلون، الكادر السياسي، العناصر المساعدة (وهم الأتباع النشطون الذين يقدمون خدمات الدعم المهمة)، والقاعدة الجماهيرية. وينص الدليل على أهمية الاعتناء بزعماء الحركة، وجمع المعلومات التالية عن كل قائد منهم:



- دوره في التنظيم.
- نشاطاته المعروفة.
- شركاؤه المعروفين.
- خلفيته وتاريخه الشخصي.
- معتقداته، ودوافعه، وأيديولوجيته.
- تعليمه وتدريبه.
- طباعه (على سبيل المثال، حريص، مندفع، مفكر، عنيف).
- أهمية التنظيم.
- شعبيته خارج التنظيم.

ثم بعد ذلك تأتي عمليات الاغتيال التي تطلق عليها وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية عمليات الاستهداف عالي القيمة. (وهي عمليات مركزة ضد أفراد أو شبكات معينة تؤدي إزالتها أو تهميشها إلى تقويض فاعلية مجموعة المتمردين على نحو ملحوظ). وتعتبر السي آي إيه أن الآثار الاستراتيجية الإيجابية المحتملة لعمليات الاستهداف عالي الأهمية تشمل ما يلي:

- تضاؤل فاعلية المتمردين لتتسبب الاغتيال بارتباك يفوق قدرة المجموعة على احتوائه، وذلك عندما تكون الهجمات أكبر من قدرة المجموعة على تعويض القادة أو عندما تسبب الضربات فقدان الأفراد ذوي المهارات الحساسة - مثل خبراء التمويل واللوجستيات - والذين يكونون عادة محدودي العدد في أي جماعة. كما أنه عادة ما تجبر عمليات الاستهداف القادة المتبقين على زيادة احترازاتهم الأمنية.

- تفتيت أو تقسيم الجماعة المتمردة، فتصفية الزعماء الملتف حولهم يمكن أن يؤدي إلى تفاقم الانقسامات داخل الجماعة وتشظيها، وتظهر إمكانية التقسيم هذه بشكل خاص عندما تتكون الجماعة من تحالفات بين المجموعات أو فصائل.

- إضعاف الإرادة خاصة في حالة عدم وجود مخطط واضح لدى الجماعة لاستخلاف القادة. وتغيير استراتيجية الجماعة أو هيكلها بطرق تخدم الحكومة، فضلاً عن تقوية معنويات الحكومة والمحسوبين عليها.

وعندما يرى القادة المختصون أن احتمالات تحقيق عملية الاستهداف لآثارها الايجابية أكبر من التأثيرات السلبية المتوقعة، يأمرون بتنفيذها للتخلص من الخصوم.

وهذا الأسلوب في جوهره ليس أسلوباً جديداً في تاريخ الصراع بين الحق والباطل، إنما هو أسلوب ممتد عبر التاريخ يلخصه قوله تعالى: { وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } أي ليقتلوه. وقد شاهدنا خلال القرن الأخير تصفية معظم الرموز الجادة للتيارات الإسلامية بدءاً من حسن البنا وسيد قطب، وصولاً إلى الشيخ أحمد ياسين وعبدالعزيز الرنتيسي، فضلاً عن أغلب قادة التيارات الجهادية. أي أن أعداء الدين كانوا أكثر تأسياً بقوله تعالى: (فقاتلوا أئمة الكفر). ونفذوا ذلك بشكل عكسي فقتلوا خيرة البشر من الرسل والأنبياء والمصلحين. وهو ما يستدعي مراجعة جادة لكيفية خوض الصراعات مع الأعداء بما يكفل تأمين القيادات الفاعلة قدر الإمكان، والاستفادة من منهجية الآخرين في التعامل مع الأعداء.

المصادر:

-الدليل الميداني للجيش الأميركي لمكافحة التمرد، ط.٢٠٠٦ .

- تقييم برامج الاغتيالات النوعية، وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، ترجمة مركز حازم للدراسات. ط.٢٠١٨ .



دور الجهاد في نشر رسالة الإسلام (٢)

مصطفى البدري

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، الله خير مما يشركون وبعد:

فقد بدأنا في المقال الماضي تلخيص كتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، وانتهينا فيه بفضل الله من المقدمة والباب الأول.

وهنا أبدأ مستعيناً بالله في تلخيص الباب الثاني، وعنوانه: منهج الدعوة إلى الله بعد تشريع الجهاد القتالي.

وحيث إن هذا الباب قد اشتمل على ثمانية مباحث هامة؛ فسوف نتناول هنا المبحث الأول والثاني فقط، مع التأكيد على أنّ هذا التلخيص لا يغني عن قراءة الكتاب الأصل.

التعريف اللغوي: يقول ابن منظور: وجاهد العدو مجاهدة وجهادًا = قاتله وجاهد في سبيل الله. والجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. اهـ

وقال القسطلاني: والجهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو مجاهدة وجهادًا، وهو مُشتق من الجَهد بفتح الجيم، وهو التعب والمشقة لما فيه من ارتكابها، أو من الجُهد بضم الجيم، وهو الطاقة، لأن كل واحد منهما بذل طاقته في دفع صاحبه.

التعريف الشرعي: روى أحمد عن عمرو بن عبسة أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما الجهاد؟ فأجابه: "أن تقاتل الكُفّار إذا لقيتهم".

وقد يأتي مصطلح الجهاد في النصوص الشرعية على غير معنى قتال الكفار، لكنه إذا أُطْلِقَ فالمراد به قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى، ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة.

يقول ابن رشد: وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أُطلِق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. اهـ

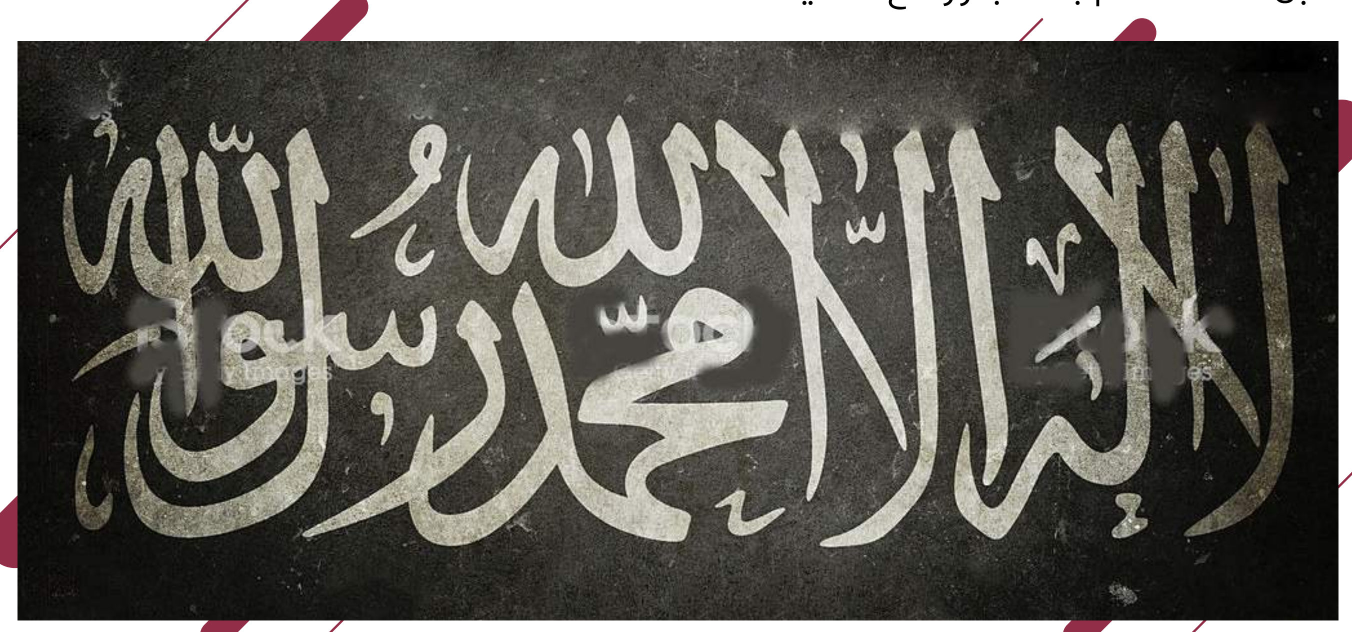
وكل النصوص التي تدل على فضائل الجهاد فالمراد بها قتال الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى، ولا تُحمَل على جهاد النفس كما يزعم البعض، فكل علماء الإسلام من مُحَدِّثين وفقهاء إذا بوَّبُوا في كتبهم للجهاد، فالمراد به جهاد الكفار القتالي لا مجاهدة النفس.

ومن أوضح الأدلة على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دُلَّني على عَمَلٍ يَعْدِلُ الجهاد. قال: "لا أجده". ثم قال: "هل تستطيع إذا خرج المجاهدُ أن تدخل مسجدَك فتقوم ولا تَفْتُر وتصوم فلا تُفْطِر؟" قال: ومن يستطيع ذلك؟

ودلالة الحديث ظاهرة، فالصيام والقيام من مجاهدة النفس، ومع هذا قال صلى الله عليه وسلم: لا أجد ما يعدل الجهاد.

وقال حسن البنا رحمه الله: شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر، وأن هناك جهادًا أكبر هو جهاد النفس!! وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونيَّة الجهاد والأخذ في سبيله. اهـ

وأما الحديث المشهور "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" فقد نص عامة المُحَدِّثين (كالبيهقي والعراقي والسيوطي والألباني) بأنه لا يصح عن رسول الله، بل فيه راوٍ وهو يحيى بن العلاء مُتَّهَم بالكذب ووضع الحديث.



والخلاصة التي وصل إليها الباحث في هذا الموضوع: إذا كان المقصود بجهاد النفس هو التزام أوامر الله وشرائعه، وأول ذلك تحقيق التوحيد والكفر بالطاغوت والذي يشمل عقيدة الولاء والبراء، فآنذاك يصح أن يُطلَق عليه الجهاد الأكبر، لأنه سيشمل حتماً جهاد الكفار ومقاتلتهم. أما إذا كان المقصود به هو ما ينشره بعض المُنَفِّرين من الجهاد حيث الاكتفاء بعبادات معينة مثل قيام الليل وصيام النهار والحفاظ على الأوراد والأذكار وما أشبه ذلك، فإن اعتبار هذا هو الجهاد الأكبر مغالطة كبيرة لا يدل عليها كتاب ولا سُنَّة، وهو ظاهر في حديث أبي هريرة الذي مضى معنا، ويؤكد ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يَغْزُ ولم يُحَدِّث به نفسه مات على شعبة من نفاق" [1].

وعلى هذا المعنى ينتظم كلام ابن القيم في زاد المعاد، والذي ذكر فيه أنَّ مجاهدة النفس في المرتبة الأولى من مراتب الجهاد.

(1) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

أولا: **جهاد الطلب والابتداء:** وهو تطلب الكفار في عُقْر دارهم ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام.

وهذا النوع فرض كفاية على مجموع المسلمين، يدل على ذلك قول الله تعالى: {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ * فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ * إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّه وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إلَّا بحَقِّ الإسْلامِ، وحِسابُهُمْ علَى الله" [٢].

وقال ابن عطية: واستمر الإجماع على أن الجهاد على أُمَّة محمد فرض كفاية [٣]، إلَّا أن ينزل العدُوُّ بساحة الإسلام، فإنه حِينَئِذٍ فرض عَيْن.

وقال حسن البنا بعد أن استعرض أقوال فقهاء الإسلام بوجوب الجهاد: فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم (مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين) على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة لنشر الدعوة.

ورغم ورود عدة آثار عن بعض الصحابة والتابعين تفيد أن مذهبهم هو أن الغزو فرض عين على كل قادر، إلا أن المترجح لدى الكاتب هو قول الجمهور، وأنه فرض كفاية[٣] وذلك لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمِ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

وإذا تقرر هذا.. فهل هناك عدد معين لغزو المسلمين بلاد الكفار تبرأ به ذمتهم، أم أن الأمر منوط بالقدرة على ذلك؟

---

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر.

(٣) قلت (مصطفى): وفرض الكفاية لابد أن يقوم به من يكفي حتى يسقط الإثم عن بقية القادرين، وقبل حصول الكفاية يبقى مُتَعَيِّنًا في حق كل قادر عليه.

قولان لأهل العلم: **أوَّلهما** قول الجمهور، وهو وجوب الغزو كل عام مرة على الأقل.

قال القرطبي: فرضٌ على الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة، يخرج معهم بنفسه أو يُخرِج مَن يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ويرغمهم ويكُفَّ أذاهم ويُظهِر دين الله عليهم، حتى يدخلوا في الإسلام أو يُعطُوا الجزية. اهـ

واستدلوا على ذلك بأن الجهاد بديل عن الجزية، وبما أن الجزية تُدفع كل سنة، فكذلك الجهاد.

والثاني أنه يجب غزو الكُفّار في عقر دارهم كلما أمكن ذلك من غير تحديد بعدد معيَّن،



قال ابن حَجَر: وهو قول قوي.

ويكون غزو الكُفَّار في عقر دارهم فرضًا عينيًا في صور، ذكر منها العلماء ما يلي:

١ إذا عيَّن إمام المسلمين شخصًا بعينه.

٢ إذا كان النفير عامًّا كأن يستنفر الإمام أهل قرية أو ناحية.

٣ إذا كان للمسلمين أسرى عند الكفار حتى يتم استنقاذهم.

٤ إذا حضر المسلم جيش المسلمين في حال قتال مع الأعداء.

ثانيًا: **حكم جهاد الدفع:** وهو كل ما يندفع به شر الأعداء عن بلاد المسلمين. وهو فرض عين بالإجماع.

قال القرطبي: إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر، وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالاً، شبابًا وشيوخًا، كل على قدر طاقته، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم، وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضًا الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يَدٌ على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها، سقط الفرض عن الآخرين. ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضًا الخروج إليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة، ويخزى العدو ولا خلاف في هذا. اهـ بتصرف [٤].

٢- مراحل تشريع الجهاد

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الكف عن المشركين والصبر على أذاهم مع الاستمرار في دعوتهم إلى دين الحق [٥].

وهي التي عناها ربنا في قوله: {كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} وفيها قال عليه الصلاة والسلام: "إني لم أؤمر بقتال" [٦].

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} أي يصفحوا عنهم ويحملوا الأذى منهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام، أُمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصرّوا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد. هكذا روي عن ابن عباس وقتادة. اهـ

(٤) التصرف في النقول بشيء من الاختصار يكون منّي (مصطفى) وليس من مؤلف الكتاب.
(٥) نقل المؤلف هنا عن سيد قطب كلامًا مهما عن الحكمة من الصبر والكَفّ في هذه المرحلة، ولطوله آثرت أن أجعله في مقال منفرد بإذن الله.
(٦) ورد هذا الحديث في سياق بيعة العقبة الثانية من رواية كعب بن مالك، وقد رواه أحمد بسند صحيح.

المرحلة الثانية: إباحة القتال من غير فرض. وقد أشار الله إلى هذا المعنى بقوله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا * وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} قال ابن كثير: وقال غير واحد من السلف: هذه أول آية نزلت في الجهاد، وإنما شرع الله الجهاد في الوقت الأليق بهم، فلو أمر المسلمين بمكة وهم أقل من العُشر بقتال الباقين لشقَّ عليهم، فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وهَمُّوا بقتله، وشرَّدوا أصحابه شذر مذر، فلما استقروا بالمدينة وصارت لهم دار إسلام ومعقلًا يلجؤون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك. اهـ بتصرف

المرحلة الثالثة: فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط.ومن أدلة هذه المرحلة قوله تعالى: {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} وتدل السيرة النبوية أيضًا على هذه المرحلة، يقول ابن تيمية: فمن المعلوم من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام أنه لما قدم المدينة لم يحارب أحدًا من أهل المدينة، بل وادعهم، حتى اليهود، خصوصًا بطون الأوس والخزرج، فإنه كان يسالمهم ويتألّفهم بكل وجه، حتى حلفاء الأنصار أقرَّهم النبي صلى الله عليه وسلم على حلفهم. اهـ بتصرف.

المرحلة الرابعة: قتال جميع الكفار على اختلاف أديانهم وأجناسهم ابتداءً، وإن لم يبدأوا بقتال حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية.

وهي المقصودة بقول الله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول فيها "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ .... فَإِذَا أَنْتَ لَقِيتَ عَدُوًّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثِ خِلَالٍ .... إلى آخر الحديث" [٧] .

وقال ابن تيمية: فكان النبي في أول الأمر مأمورًا أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده، وكان مأمورًا بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أُذن له في الجهاد، ثم لما قووا كتب عليهم القتال،

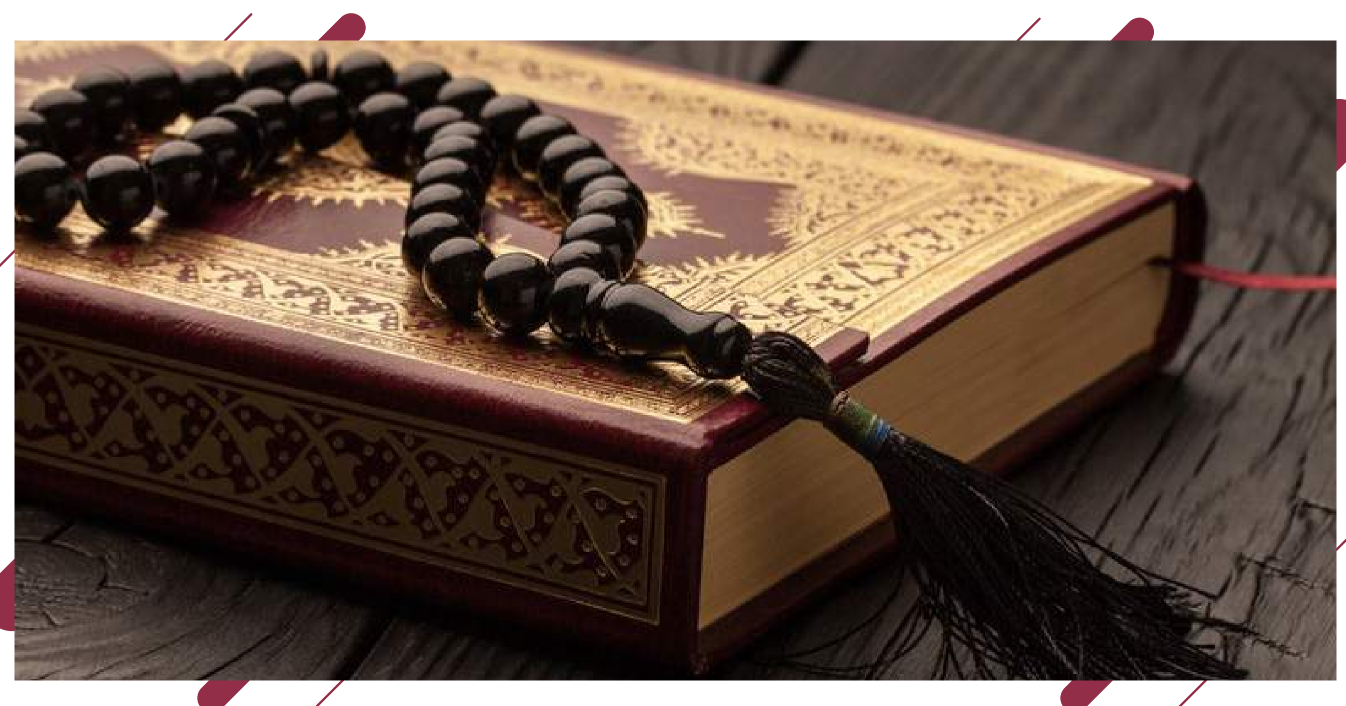
(٧) رواه مسلم في صحيحه.

ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار، فلما فتح الله مكـة وانقطع قتال قريش ملوك العرب ووفدت إليه وفود العرب بالإسـلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة. اهـ (٨)

وهنا يُطرح السؤال المشهور: هل المرحلة الأخيرة ناسخة للمراحل السابقة، كما نص أهل التفسير على أن آية التوبة نسخت الآيات التي تأمر بالعفو والصفح؟

وقد خلص المؤلف إلى أن النسخ هو الصحيح، لكن يبقى للمسلمين فسحة حال العجز اضطرارًا في العمل بنصوص الصبر والعفو، مع وجوب السعي لرفع حالة الاضطرار.

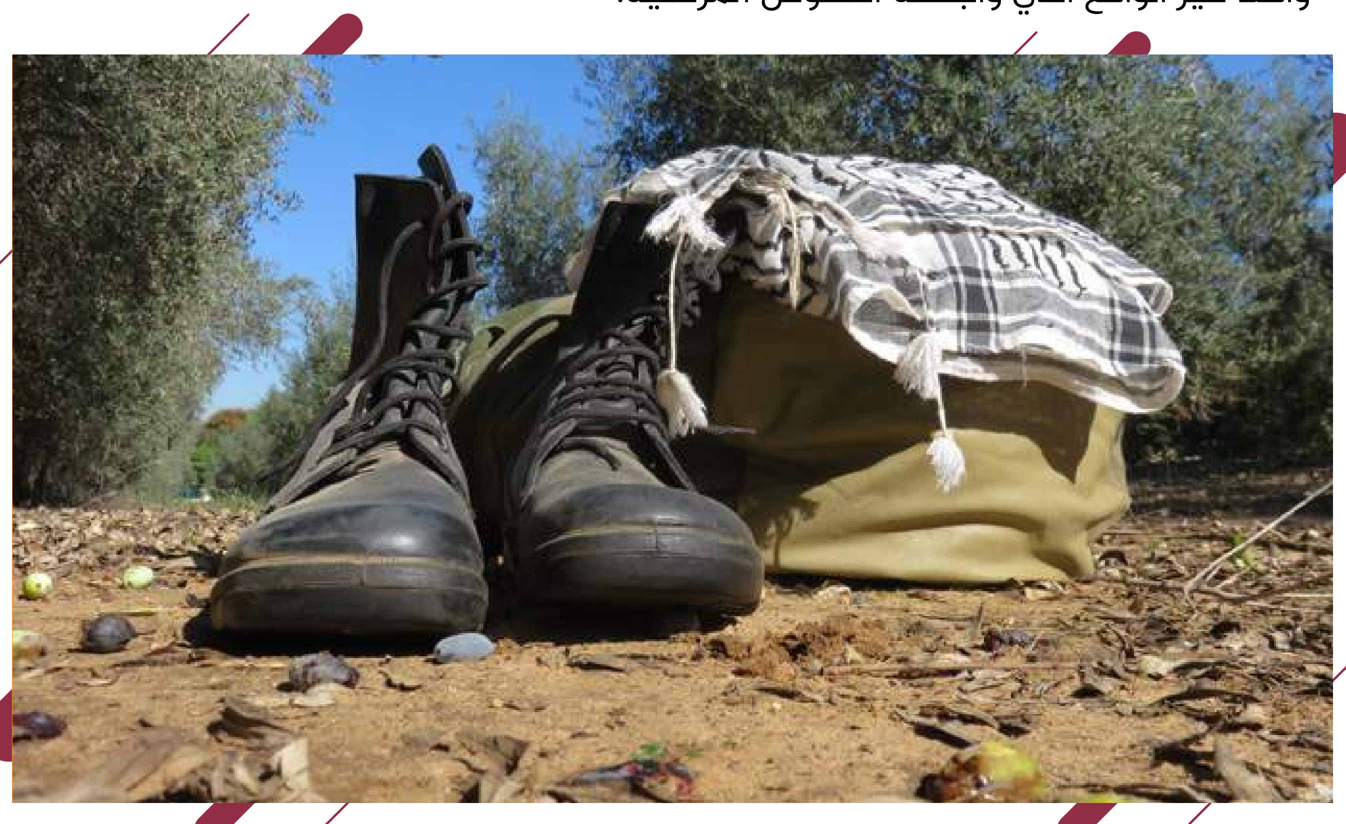
قال ابن تيمية: فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف، أو في وقت هو فيه مستضعف؛ فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين. وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. اهـ



ويقول سيد قطب في ردّه على الذين يحاولون أن يجدوا في النصوص المرحلية مهربًا من الجهاد في معناه الشامل:

(٨) وقد نقل المصنف عن علماء من المذاهب الفقهية الأربعة ما يؤكد اتفاقهم على هذه المرحلية في تشريع الجهاد.

إن هذه النصوص التي يلتجئون إليها نصوص مرحلية تواجه واقعًا معينًا. وهذا الواقع المعين قد يتكرر وقوعه في حياة الأمة المسلمة. وفي هذه الحالة تطبق هذه النصوص المرحلية؛ لأن واقعها يقرر أنها في مثل تلك المرحلة التي واجهتها تلك النصوص بتلك الأحكام. ولكن هنا ليس معناه أن هذه هي غاية المنى؛ وأن هذه هي نهاية خطوات هذا الدين.. إنما معناه أن على الأمة المسلمة أن تمضي قُدُمًا في تحسين ظرفها؛ وفي إزالة العوائق من طريقها؛ حتى تتمكن في النهاية من تطبيق الأحكام النهائية الواردة في سورة التوبة، والتي كانت تواجه واقعًا غير الواقع الذي واجهته النصوص المرحلية.



فإذا كان المسلمون اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام؛ فلهم في الأحكام المرحلية سعة يتدرجون معها حتى ينتهوا إلى تنفيذ هذه الأحكام الأخيرة عندما يكونون في الحال التي يستطيعون معها تنفيذها.. ولكن عليهم ألا يلووا أعناق النصوص النهائية لتوافق أحكام النصوص المرحلية. وعليهم ألا يحملوا ضعفهم الحاضر على دين الله القوي المتين. وعليهم أن يتقوا الله في مسخ هذا الدين وإصابته بالهزال بحجة أنه دين السلم والسلام! إنه دين السلم والسلام فعلاً، ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله، وإدخال البشرية، كافة في السلم كافة. اهـ

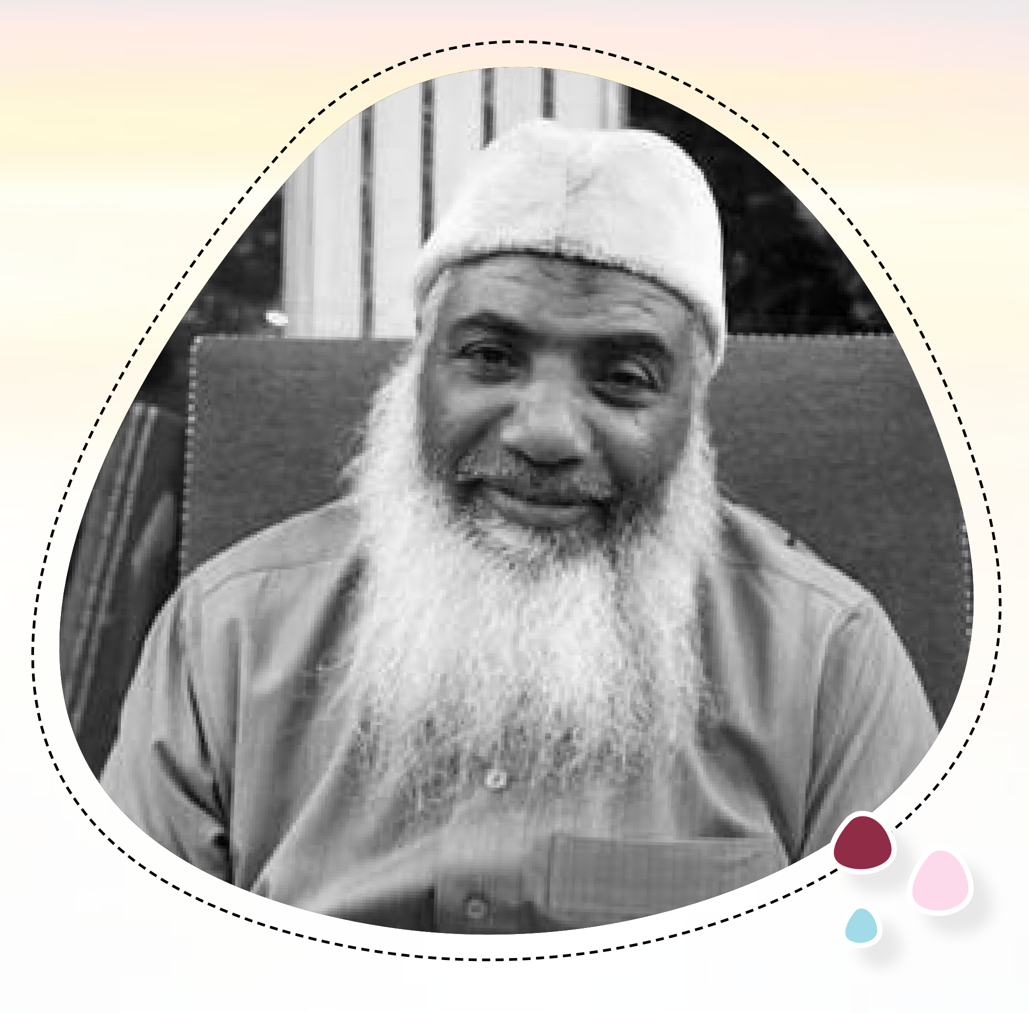
والله من وراء القصد

مادة حصرية

مذكرات الشيـــخ رفاعـــي طـه (8)

سجلها عنه وحررها

محـمـد إلهـامـي



من مؤسسي الجماعة الإسلامية المصرية

كنت عضواً في طلائع الاتحاد الاشتراكي

كان الاتحاد الاشتراكي ينبي تنظيماً أخطبوطياً يمنع الدولة من الانهيار لمئات السنين

كان خطاب السادات ضعيفاً ومستكيناً لكنه صار بالتدريج يجد له أنصاراً بين الشعب!

لقراءة الحلقات السابقة:

- تمهيد: موجز سيرة رفاعي طه كما أملاها
- الحلقة الأولى: طفولة بسيطة في قرية مغمورة بالصعيد المجهول
- الحلقة الثانية: أول الطريق إلى المسجد، وأول الطريق إلى السياسة
- الحلقة الثالثة: أول صدمة فكرية، وأول تفكير في إقامة دولة إسلامية
- الحلقة الرابعة: عندما فهمت معنى حديث النبي من ضابط أمن الدولة
- الحلقة الخامسة: عندما سمع أستاذي خبر إعدام سيد قطب أحرق كتابه وهو في الصومال
- الحلقة السادسة: قصتي مع التصوف
- الحلقة السابعة : قصة ثورة في المدرسة

عندما كنا صغاراً في المدرسة الإعدادية، كانوا يختارون الطلاب الخمسة الأوائل على كل فصل، ويُحفِّظونهم خطب جمال عبد الناصر، ويحدثونهم عن الاشتراكية، ويشرحون لهم الميثاق، ثم كانوا يعقدون لهم لقاءات دورية لا أتذكر الآن إن كانت شهرية أم نصف سنوية بالإضافة إلى معسكرات صيفية في الإسكندرية ورأس البر، وأما بالنسبة لنا في مركز إدفو فقد كان معسكرنا في أسوان، ننزل هناك في نُزل الشباب، التي كانت ضمن ما كان يسمى "بيوت الشباب" وهي تتبع وزارة الشباب والرياضة، وكان لها في ذلك الوقت أنشطة ضخمة. وهذه المعسكرات مختلطة بين الأولاد والبنات، لكن الأنشطة نفسها منفصلة حيث ينزل الذكور في مكان والإناث في مكان آخر. لم يبلغ الأمر كما كان في تركيا -مثلاً- حيث يبيت الشباب والفتيات في مكان واحد. واستقر الوضع على هذا الشكل في المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية.

وبموازاة هذا، كانت ثمة مسابقات في ذلك الزمن تسمى مسابقات أوائل الطلاب، وكان يتسابق فيها الطلاب الخمس الأوائل الذين هم بطبيعة الحال أعضاء البراعم والطلائع في الاتحاد الاشتراكي، وفيها يتعارف ويتنافس أولئك الطلاب الذين يجري إعدادهم ليكونوا نخبة الدولة. وللحق، فلقد كان الاتحاد الاشتراكي يعمل جيداً على هذا الملف، فحين يستخلص من كل فصل -لا من كل مدرسة- أفضل خمسة طلاب فيه، ثم يتعهدهم بالتكوين والإعداد والدعم، ثم يفتح لهم بعد التخرج أبواب الوظائف المهمة في مناصب الدولة.. فعندئذ فإن النخبة الجديدة الحاكمة ستكون قد جرى إعدادها وتربيتها منذ أول النشأة، وسيكونون قد تعارفوا عبر هذه السنين من خلال اللقاءات الدورية والمعسكرات والمسابقات، هنا سيكون الناتج نخبة حاكمة ذات نظام أخطبوطي يضمن للدولة أن تستمر على هذا لمئات السنين دون أن تنهار.

كانت هذه صورة ونظام الاتحاد الاشتراكي كما رأيتها، وكانت تلك الفترة حافلة بالمشاعر الوطنية الملتهبة المرتبطة بجمال عبد الناصر الذي هو في روحنا "الزعيم"! ولم تتفكك هذه البنية العقدية القوية إلا حين طرح السادات فيما بعد فكرة تطوير الاتحاد الاشتراكي، فطُرِحت ورقة بهذا العنوان "تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي"، وقد حضرتُ مناقشات هذه الورقة.



وبهذا أستطيع أن أُجْمِلَ صورة أيامي في المرحلة الثانوية في هذه المسارات: الصوفية، وزعامة المدرسة ونشاطها الطلابي، وعضويتي في طلائع الاتحاد الاشتراكي، والاستدعاءات المتتالية لقسم الشرطة وحديثي المتكرر مع ضابط المباحث الذي كان يحرص على أن يكون حديثه ودياً وأخوياً وفي مكان غير المدرسة أو قسم الشرطة.

وأما المشهد العام في تلك المرحلة فأول ما فيها أني لم أعِ جيداً حرب الاستنزاف، ربما لكوني وقتها في السنة الثالثة الإعدادية أو لأننا لم نكن نشعر بها، كذلك لم تشغلنا كثيراً مبادرة روجرز سنة **١٩٦٩** في أواخر حكم عبد الناصر والتي كانت قبل وفاته بشهور، إلا أن الحدث الذي لا يُنسى من تلك الفترة هو استشهاد الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان، وكان ذلك في مارس **١٩٦٩** ، فقد كان لهذه الحادثة تأثير ضخم، وكان له جنازة حافلة مهيبة حظيت بتغطية إعلامية كبيرة وحضرها جمال عبد الناصر وبكى فيها، وقد أخرجونا نحن طلابَ المدارس في مظاهرات وجنازات رمزية.

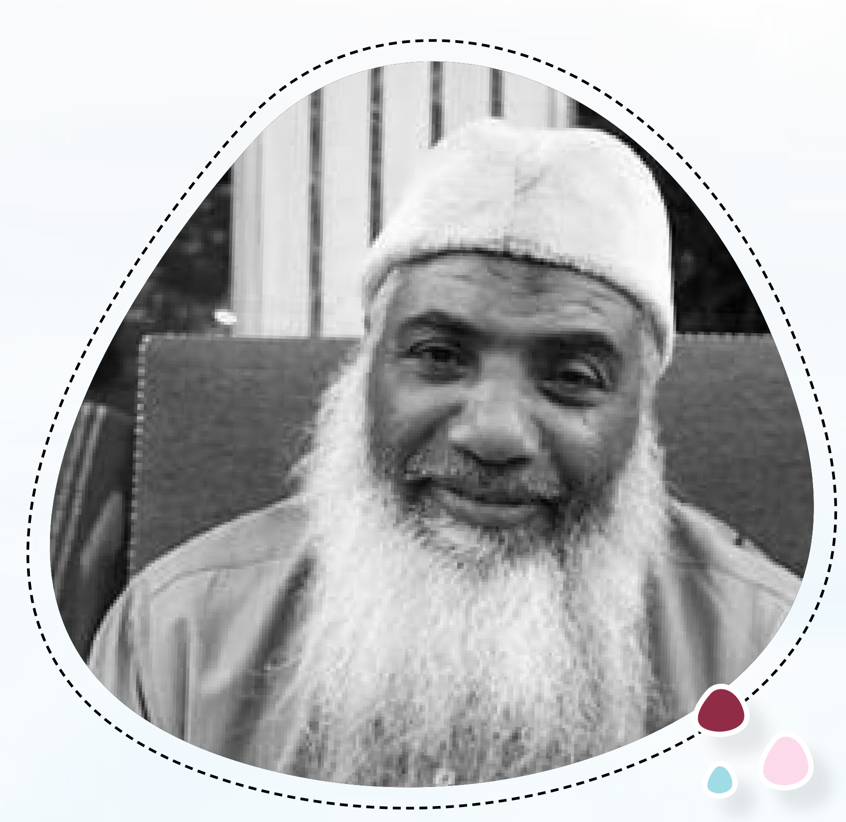
كذلك فقد نفذت القوات الإسرائيلية عدة ضربات في العمق المصري، ومن أشهر هذا قصف مدرسة "بحر البقر" التي استشهد فيها عدد من الأطفال في مدرستهم، وعندنا في جنوب مصر وقع قصف أيضاً لكوبري (جسر) إدفو في أسوان، وكان هذا الجسر يبعد عن مدرستنا كيلو متراً واحداً فقط، وقد ذهبنا إلى هنا ورأينا آثار القصف والقنبلة وما أحدثته من دمار.

"وهنا بدأ ينتشر في مصر نظام المدارس العسكرية، وكان يجري تدريبنا عسكرياً في المدرسة، كما انتشرت التعليمات ببناء جدران أمام المداخل والأبواب، وخصوصاً أبواب المدارس بعرض ٣ أمتار وارتفاع ٣ أمتار أيضاً، وكانت لا شك مهمة باهظة التكاليف، ولم أكن أدري حينها لماذا يبنون هذه الجدران؟ كذلك فقد حُدد عدد من الأماكن بمثابة المخابئ والملاجئ التي ينبغي على الناس الذهاب إليها وقت حدوث الغارات."

لم يكن الشعب يخشى الحرب مع إسرائيل، بل كان يفور حماسة حقيقية، وكان مشحوناً بأثر القوة الإعلامية المتواصلة، وفي الواقع لقد صنعت هذه القوة الإعلامية من جمال عبد الناصر زعيماً حقيقياً، وإذ كان يحتكرها وليس ثمة صوت غيره فقد مَكَّنَتْه بحق من أن يكون محبوب الجماهير، ولقد رأيتُ أبي يبكي بكاء حقيقياً يوم إعلان عبد الناصر تنحيه، ورأيته يبكي مثل ذلك يوم وفاته، ولم يكن أبي إلا رجلاً بسيطاً فلم يكن مؤدلجاً ولا صاحب فكر وتوجه، إنما هو كعموم الناس، ومع هذا فقد كان في غاية الانفعال والتأثر.

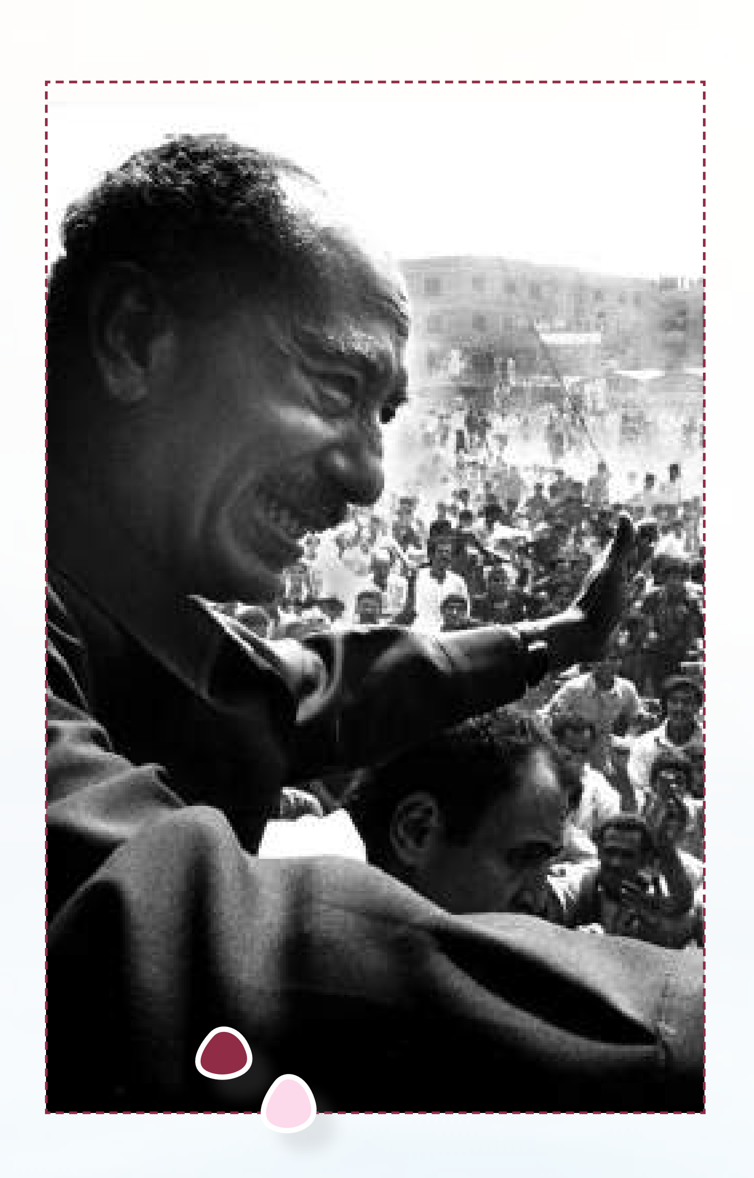
بينما كان الأمر على العكس من هذا حين جاء السادات، لقد بدا السادات ضعيفاً مهزوزاً لا يستطيع أن يكرر زعامة عبد الناصر القوية ولا أن يملأ ثوبه المهيب، خصوصاً في السنوات الثلاث الأولى **(١٩٧٠ - ١٩٧٣م)** حتى قامت الحرب. ولم يكن الناس يرونه صالحاً ليكون رئيساً للجمهورية، وعلى ما يبدو فإن طاقم الرجال الذين أداروا هذا الملف تعمدوا توصيل هذه الصورة عنه، وإن كنا عرفنا فيما بعد أنها لم تكن صورة صحيحة، وأنه تعمد أن يكون بهذا المظهر الضعيف ليعالج بها معاركه الداخلية في أروقة الدولة التي يتنفذ فيها رجال عبد الناصر الأقوياء. كان عبد الناصر يخطب بقوة وعنده ذلك الحس الجماهيري الذي يجذب به الأسماع والأنظار فيؤثر فيها، بينما كان خطاب السادات هادئاً مستكيناً، تكثر فيه اللهجة العاطفية ولغة القرية، يتحدث كثيراً بالعامية.

لكن الذي يلفت النظر هنا أن هذه اللهجة في الخطاب بدأت بالتدريج تجذب بعض الناس وتجد لها أنصاراً، كان السادات ضمن هذه الصورة الهادئة المستكينة يتحدث عن مبادرات سياسية تتجنب دخول الحرب (على العكس من موقف وسياسة عبد الناصر التي تتوعد إسرائيل)، فقد حاول البناء على مبادرة روجرز ووافق على مدِّ الهدنة ووقف إطلاق النار، ثم طرح مبادرة عام **١٩٧١م**،



وكان يبرر هذا بأنه إنما يفعله ليحافظ على أبنائه لأقصى درجة وليحافظ على البلاد ويجنبها متاهات الحرب. وقد وجد هذا النوع من الخطاب أنصاراً وبدأ يتشقق الموقف في المجتمع المصري من خوض حرب التحرير مع إسرائيل، فخصوصاً كبار السن كانوا يقدرون هذا الشعور الأبوي ويتعاطفون مع السادات، ويتحدثون عن الحرب التي لا تأتي بالخير. فيما بعد عرفنا أن هذه اللهجة نفسها كانت من وسائل السادات التي استعملها لإيهام إسرائيل بأننا لن ندخل الحرب أبداً.

فيما قبل الحرب لم تكن الجماهير مع السادات أو ضده، حتى ما سماه ثورة التصحيح **(مايو ١٩٧١ م)** والتي أقصى فيها رجال عبد الناصر لم يتعامل معها الشعب بالحفاوة أو بالإنكار، كأن هؤلاء المغلوبين لقوا جزاءً طبيعياً، فحيث لم يكونوا من اختيار الشعب فليس للشعب منهم موقف، ولعل قائلهم يقول أيضاً: وإذ كانوا من رجال عبد الناصر وقد رحل كبيرهم فلا تثريب أن يرحلوا مثله، ثم لم يكن منهم أحد معروفاً بزعامة ولا له في قلوب الناس مكانة. ولو شئنا أن نقول إلى أي الجانبين كان الشعب يميل فسنقول بوضوح: إلى جانب السادات، ولعلها كانت عند بعض الناس من حسناته ومن بشائر عهده.



إلى هنا تنتهي المرحلة الثانوية، ليبدأ الحديث عن المرحلة الأكبر والأخطر:

مرحلة الجامعة..

كيف تبني تنظيماً ثورياً (٤) الأمن



د. عمرو عادل

في المقال السابق كان الحديث عن مقدمة لبِنية الجناح الأمني من التنظيم، ومن المهم توضيح بعض النقاط قبل استكمال الحديث عن المهام والعلاقات مع الجناحين الآخرين (المعلومات والعمليات).

١ - ما طرح من شكل تنظيمي يعبر عن الإطار العام والمفاهيم الكلية من حيث:

* تقليل التواصل المباشر .
* تشفير التواصل .
* القدرة على إعادة البناء بوجود ضباط اتصال في الجانب المظلم الكامن قادرين على إعادة التواصل وإعادة بناء التنظيم .

٢ كل البناء الأمني تحت قيادة القيادة العليا للتنظيم وهي الضابطة له، ولابد من وجود خلايا معلوماتية تابعة بشكل كامل للقيادة العليا لضمان عدم اختراق التنظيم الأمني.
٣ ضباط الاتصال المنوطون بالتواصل مع القيادة في حالة سقوط كلي للمستوى التنظيمي يتبعون القيادة مباشرة وغير مرتبطين بالجناح الأمني.

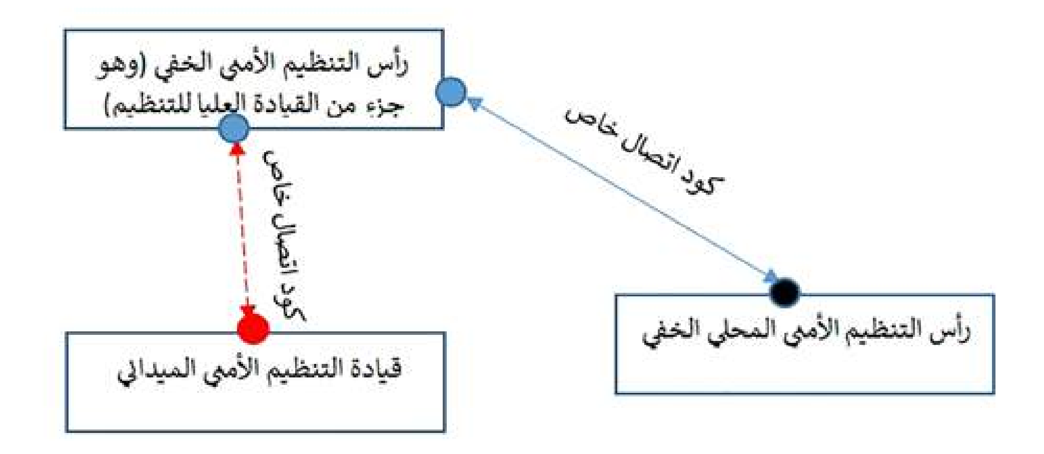
وبالتالي يمكن تغيير هذا النمط طبقاً للظروف الميدانية والخبرات الموجودة لدى القيادة، مع الحفاظ على الإطار العام والأهداف الرئيسية للتنظيم ككل وللجناح الأمني.

ويمكن الآن استكمال التفاصيل الخاصة ببنية التنظيم في كل مستوياته، مع تطبيق ذلك على محافظة مصرية على سبيل المثال.

الأدوار والعلاقات

- القيادة العليا للتنظيم

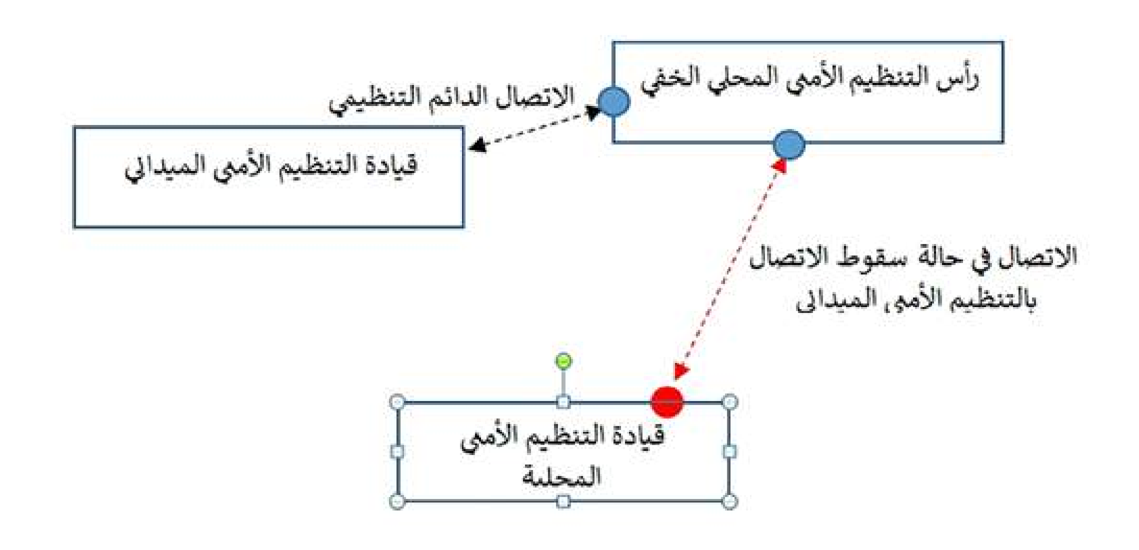
وهي من تبدأ في بناء التنظيم كله من أعلى لأسفل، وهي خلية واحدة لمحافظة بورسعيد مثلا أو لمنطقة القناة حسب الإمكانات البشرية المتوفرة.



رسم تخطيطي

رأس التنظيم الأمني الخفي وقد يكون شخص واحد أو أكثر، وهو جزء من القيادة العليا للتنظيم والمسؤول عن كامل الملف الأمني، ويشارك في إعداد الأهداف الاستراتيجية وتوزيع المهام على القيادة الميدانية، ويشارك في وضع خطة السيطرة على كافة مراكز السلطة في لحظة انحسار النظام، بداية من الوحدات المحلية والأحياء والأقسام إلى أي مؤسسة سلطوية، وهو مسؤول عن التواصل مع رأس التنظيم المحلي الخفي عن طريق ضابط الاتصال - قد يكون هو نفسه ضابط الاتصال - وبكود اتصال خاص بهما وحدهما، وهو لا يتواصل مع أي خلية أمنية بالتنظيم إلا عن طريق التنظيم الأمني المحلي الخفي، وهذا ليكون حائط صد لحماية القيادة العليا.

كما يكون كجزء من التنظيم ضابط اتصال مهمته الوحيدة التنظيمية هو التواصل مع قيادة التنظيم الأمني الميداني في حالة سقوط التواصل مع رأس التنظيم الأمني المحلي الخفي.
رأس التنظيم الأمني المحلي الخفي ويتكون من خلية صغيرة أمنية بالكامل (أو أكثر حسب الاتساع الجغرافي للتنظيم) من مجموعة ضباط اتصال بالأساس، مهمته توصيل المعلومات والأوامر في الاتجاهين، من القيادة العليا للقيادة الميدانية والعكس، وتمتلك مجموعة من ضباط الاتصال الكامنين للتواصل مع ضباط الاتصال بالقيادات المحلية الأمنية في حالة انقطاع الاتصال مع القيادة الميدانية



رسم تخطيطي

ونقل المعلومات هي المهمة الوحيدة لهذه الخلية المفصلية للتنظيم، وهي تكون خلية واحدة لكل التنظيم، وتتواصل مع قيادة التنظيم المحلي الميداني وهي قيادة واحدة مركزية أو تكون متكررة حسب الاتساع الجغرافي للتنظيم، وحسب القدرات التنظيمية والمهارات البشرية المتوفرة، وفي حالة تنظيم لمحافظة واحدة صغيرة مثل السويس مثلا تكون من خلية واحدة، أما في حالة المحافظات الكبيرة كالشرقية مثلا فيفضل أن تكون كل خلية في مركز من المراكز.

هذان المستويان غير تنفيذيين على الإطلاق وهما المنوطين بإعادة بناء التنظيم مع ضباط الاتصال في حالات الطوارئ، لذلك غير مسموح بالاختراق أو الظهور الإعلامي أو إظهار الانتماء للثورة، وخاصة في المراحل الأولى وحتى وصول التنظيم لبنية قوية متماسكة، وبعد ذلك يمكن حدوث بعض الاستثناءات طبقا للظروف السياسية من غير الجناح الأمني والمعلوماتي.

قيادة التنظيم الأمني الميداني: وهي المسئولة عن تنفيذ كافة الإجراءات الأمنية المتبعة، وهي جزء من القيادة التنفيذية الميدانية للعمليات وتعمل معها على تحويل الاستراتيجيات والأهداف إلى خطط تنفيذية ومهامها هي:

١ تأمين الخلايا التنفيذية وحماية التنظيم من الاختراق .
٢ تجنيد الأعضاء والتأكد من عدم انتماءه لكيانات معادية.
٣ تأمين العمليات النوعية أثناء التنفيذ .
٤ تكوين الخلايا اللازمة لتأمين المساحة الجغرافية محل المسؤولية عند انفلات الأوضاع وضمان عدم سيطرة أي قوة أخرى منتمية للنظام.
٥ توزيع المهام وضمان سرية تدفق المعلومات في كافة الاتجاهات، وحماية ضباط الاتصال المعنيين في حالة سقوط أحد الخلايا لضمان حماية باقي التنظيم .

ويفضل أن تكون خلية واحدة لتقليل تعقيدات الاتصال، أما في حالة توافر القدرات البشرية فيمكن أن تكون أكثر من واحدة حسب المساحة الجغرافية، وهذا يعتمد على قرار القيادة العليا للتنظيم في لحظة التأسيس ومراحل البناء.

ويوجد ضابط اتصال طوارئ كامن يتبع مباشرة قيادة التنظيم، لإحياء التواصل في حالة سقوط القيادة المحلية الخفية، أو لإعادة بناء التنظيم في حالة سقوط القيادة الميدانية ومن يتبعها .

قيادة التنظيم الأمني المحلي: هي وحدات متعددة وجزء من الخلايا العملياتية وملتحمة بها، فكل قيادة أمنية في هذا المستوى هي لصيقة القيادة العملياتية وتتحرك معها، فمثلا في محافظة كشرق القاهرة هناك قيادة لمنطقة عين شمس جزء منها القيادة الأمنية التي تشارك في اتخاذ القرار وتجنيد الأفراد وإعداد الأرض بالخرائط للسيطرة وتحديد مهام الخلايا وتوزيعها على الأرض وطرق تأمينها وخطط تأمين ضباط الاتصال المعروفين لها، ويجب أن يكون تحت قيادته المباشرة خلية مستقلة أمنية للمهام الخاصة وتأمين القيادات.

بالتأكيد كل هذه التفاصيل تحتاج لدعم مالي ولوجستي كبير، وهي بالتأكيد لا يمكن إنتاجها كلها ولكنها قد تساعد في وضع تصور عن نمط آمن إلى حد ما لتنظيم العلاقات، وربما تطبيق ذلك على خلية واحدة أقل تعقيداً وأقل كلفة، وهذا ما تم عرضه سابقا في سلسلة مقالات مقاومة الشعوب بحيث يكون البناء التنظيمي من أسفل إلى أعلى، ويبدو أنه هو المتاح الآن في ظل القبضة الأمنية الكبيرة وضعف الإمكانات الاقتصادية والبشرية في مصر، ولكن في حالة التمكن من الوجود في منطقة آمنة إلى حد ما؛ فيجب فوراً الشروع في بناء التنظيم حتى مع وجود صدام مسلح، فيجب بناء -على الأقل- القيادة العليا والمحلية والميدانية للتنظيم، حتى يمكن مستقبلاً استخدامه في أي مكان لإنتاج التنظيم الميداني الذي سيبدأ بالمواجهة.



هذا عرض مختصر بقدر من التماسك يحتاج لقراءات أكثر عمقاً ممن يود بناء تنظيماً ثورياً في مجال الأمن والمعلومات من حيث الإجراءات الأمنية التفصيلية وحماية المعلومات والأفراد، وفي المقال القادم سيكون الحديث عن جناح المعلومات وعلاقته التنظيمية بالقيادة في مستويتها المتعددة هو محور الحديث.

وينبغي في النهاية التأكيد على أن العشر سنوات السابقة تحديدا أثبتت أن الشعب الذي لا يمتلك قدرة على الدفاع عن نفسه وحماية مستقبله يصبح مصيره الفناء، وإذا كنا قد تأخرنا في بناء الشبكات الشعبية لحماية أنفسنا فالواجب الآن أن نلحق بالقطار قبل أن تسحقنا خطوات العدو، وتحتاج الشعوب إلى التفكير العميق في كيفية بناء التنظيمات وكيفية حمايتها وأن تكون قادرة دائما على إعادة إنتاج نفسها، وهذه المقالات محاولة متواضعة لكسر حاجز الاعتماد على الحكومات العميلة وكسر احتكارها للتنظيمات وخاصة في مجال الأمن والمعلومات، ويحتاج هذا الخط لإسهام كل المهتمين بهذا المجال للوصول إلى تصور أكثر تماسكاً.



كما يجب لفت الانتباه إلى أن الوضع الجغرافي الميداني وطبيعة البشر وعاداتهم والطبيعة الطبوغرافية وطبيعة أجهزة الأمن وطرق عملها، تُعد عوامل محددة وضابطة لتشكيل التنظيمات وهذه تختلف من مكان لآخر، لذلك فإن القيادة هي صاحبة الحق الوحيد في اختيار الشكل المناسب لبنية التنظيم وعلاقاته دون الإخلال بالنمط العام.



أمثلة من تكتيكات المتمردين

الدليل الميداني للجيش الأميركي لمكافحة التمرد

الكمائن: هجمات على غرار حرب العصابات لقتل أو ترويع قوات مكافحة التمرد.

الاغتيال: مصطلح يطلق بشكل عام على قتل شخصيات شهيرة، ومسؤولين بارزين. كما أنه قد يتعلق "بالخونة" الذين يرتدون عن التمرد. وكذلك يتعلق بمصادر الاستخبارات البشرية، وغيرهم من الذين يعملون مع أو لصالح حكومة الدولة المضيفة أو قوات الولايات المتحدة.

- **إحراق المباني عمداً:** يكون أقل إثارة من أغلب التكتيكات، ويتميز بالمخاطرة البسيطة من قبل الجاني، كما يتطلب مستوى منخفض من المعرفة الفنية.

- **قذف القنابل، واستخدام العبوات شديدة الانفجار:** فالعبوات الناسفة المصنعة محلياً غالباً ما تمثل السلاح المفضل للمتمردين. وإنتاج تلك الأجهزة قد يكون غير مكلف. وبسبب توافر أساليب مختلفة للتفجير تنخفض خطورة استعمالها بالنسبة للجاني. كما لا يمكن تجاهل الهجمات الانتحارية كأسلوب مستخدم. ومن ميزاته أيضاً الدعاية التي تحدثها مثل تلك الهجمات. كذلك قدرة المتمردين على التحكم في الإصابات من خلال التفجير المؤقت ووضع العبوات بحرص. كما أن الهجمات من الممكن إنكارها بسهولة إذا أتت بنتائج غير مرغوب فيها، فمن عام ١٩٨٣ حتى ١٩٩٦، تضمنت نصف حوادث الإرهاب تقريباً على مستوى العالم استخدام المتفجرات.

- **الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية أو الإشعاعية أو النووية:** هناك احتمال لاستخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في المستقبل. فهذه الأنواع من الأسلحة تعتبر رخيصة نسبياً، وسهلة التصنيع. ويمكن أن تستخدم بدلاً من المتفجرات التقليدية في العديد من الحالات. إن احتمال إحداث دمار شامل، والخوف الدفين لدي معظم الناس من هذه الأسلحة، يجعلها جذابة للجماعات التي ترغب في لفت الانتباه على مستوى العالم. ورغم الاعتراف بأن أسلحة التفجير النووي بعيدة المنال مادياً وفنياً عن معظم الجماعات الإرهابية، فلا يصعب الحصول على سلاح كيماوي أو بيولوجي أو جهاز إشعاعي، يستخدم ملوثات نووية. فالتكنولوجيا بسيطة ونتيجة الفعل المتوقعة تكون أكبر بكثير من استخدام المتفجرات التقليدية.

- **المظاهرات:** يمكن استخدام المظاهرات في التحريض على ردود فعل عنيفة من قبل قوات مكافحة التمرد، ولاستعراض شعبية قضية المتمردين أيضاً.

- **الحرمان والخداع:**

– يتكون الحرمان من إجراءات تُتخذ عبر التهديد لوقف أو منع أو إفساد جهود الولايات المتحدة لجمع المعلومات. ومن أمثلة ذلك قتل مصادر الاستخبارات البشرية.

– أما الخداع فيشتمل على التلاعب المتعمد بالمعلومات والتصورات من أجل التضليل. وتتضمن الأمثلة على ذلك تقديم معلومات استخباراتية مزيفة.

الخطف واختطاف الطائرات: في بعض الأحيان يستخدم المتمردون الخطف كوسائل للهروب. إلا أن عمليات الخطف تتم في الغالب لإخراج مشهد مثير للرهائن. ورغم أنه قد جرى اختطاف قطارات وحافلات وسفن، فإن الطائرات هي الهدف المفضل بسبب قدرتها الفائقة على الحركة، وصعوبة الدخول إليها بمجرد الاستيلاء عليها.

الخدع: يمكن لأي جماعة من المتمردين أو جماعة إرهابية يعتد بها استخدام الخدع وتحقيق نجاح كبير. فتهديد حياة أحد الأشخاص تؤدي بذلك الشخص ومن يرتبطون به إلى بذل الوقت والجهود في إجراءات الأمن. كما أن التهديد بوجود قنبلة يمكن أن يغلق مبنى تجارياً أو يؤدي إلى إخلاء مسرح أو تأخير رحلة جوية دون أي تكلفة من جانب المتمردين. وكذلك تؤدي الإنذارات المزيفة إلى هبوط الكفاءة التحليلية والعملياتية لأفراد الأمن الرئيسيين مما ينزل بمستوى الاستعداد.

احتجاز الرهائن: إن احتجاز الرهائن هو الاعتقال العلني لشخص أو أكثر من أجل الحصول على الشهرة أو غير ذلك من الامتيازات مقابل إطلاق سراح الرهائن. ورغم الإثارة، فإن احتجاز الرهائن ينطوي على مخاطرة كبيرة بالنسبة لمرتكبي الحادث.



النيران غير المباشرة: ربما يستخدم المتمردون نيرانا غير مباشرة مثل قذائف المورتر من أجل إنهاك قوات مكافحة التمرد أو اجبارها على التحرك مما يتيح استهدافها بكمائن ثانوية.

التسلل والتدمير: يستخدم المتمردون هذه التكتيكات للحصول على المعلومات الاستخبارية، والحد من فعالية الهيئات الحكومية بالدولة المضيفة. وتشمل تلك التكتيكات الانخراط في الوكالات الحكومية بالدولة المضيفة لاستمالة عملاء لهم، أو اقناع أعضاء من الحكومة بدعم التمرد. أما التدمير فقد يتحقق عبر الترويع، أو تجنيد الأفراد المتعاطفين أو عبر الرشاوى.

الاختطاف: رغم التشابه مع آخذ الرهائن، إلا أنه توجد اختلافات هامة بين الاختطاف وآخذ الرهائن. فالاختطاف هو احتجاز سري لشخص أو أكثر للحصول على نتائج محددة. ويكون تنفيذه شديد الصعوبة بوجه عام، كما يظل الجناة غير معلومين لزمن طويل. ويكون الاهتمام الإعلامي كثيفاً في البداية، إلا أنه يخف بمرور الوقت. وبسبب الوقت المستغرق في تلك العمليات، يحتاج الاختطاف الناجح إلى تخطيط متقن وتجهيزات لوجستية مناسبة. كما قد تكون المخاطرة بالنسبة للجناة أقل من نموذج أخذ الرهائن.

الدعاية: يمكن أن يبث المتمردون الدعاية مستخدمين أي نوع من وسائل الإعلام، بما في ذلك الحديث وجهاً لوجه.



الغارات أو الهجمات على المرافق: يتم تنفيذ الهجمات المسلحة على المباني والمرافق عادة من أجل:

- إظهار عدم قدرة حكومة الدولة المضيفة على تأمين المرافق الهامة أو الرموز الوطنية.
- الحصول على الموارد (على سبيل المثال، السطو على بنك أو مستودع أسلحة).
- قتل أفراد حكومة الدولة المضيفة.
- ترويع حكومة الدولة المضيفة والسكان.



التخريب: إن الهدف من معظم حوادث التخريب هو إظهار مدى تعرض المجتمع وحكومة الدولة المضيفة للأعمال الإرهابية. وتكون المناطق الصناعية و التجارية أكثر عرضة للتخريب من الأماكن الأقل تطوراً. وتكون شبكات مرافق الخدمات والاتصالات والنقل معتمدة على بعضها البعض، فالدمار الخطير الذي يصيب أحدها يؤثر فيها جميعاً ويحظى بالاهتمام العام الفوري. ويمكن لتخريب المرافق الصناعية والتجارية أن يحدث أعطالاً خطيرة ويعطي مؤشراً على النوايا المستقبلية. وتكون المرافق والتجهيزات العسكرية ونظم المعلومات والبنية التحتية للمعلومات، أهدافا محتملة.

الاستيلاء: يكون الاستيلاء عادة مشتملاً على مباني أو أشياء ذات قيمة بالنسبة للجمهور، وهو يتضمن بعض المخاطرة بالنسبة للجناة حيث يوافر لدي قوات الأمن وقت مناسب للرد.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الأية (٥٢)



الأحداث الكونية .. وصناعة الوعي ٥٣
د.عطية عدلان

ولِيَعلم الذين نافقوا ٥٨
د. عبدالعزيز الطريفي

بيان علماء الازهر لتحرير فلسطين ٦٣

أدب الأزمة ٦٧
د. مجدي شلش

كلمة حق | العدد السادس عشر ، نوفمبر ٢٠١٨
www.klmtuhaq.blog



الأحــداث الكونية .. وصنــاعة الوعي

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

" لا يمكن تصنيف الأحداث التي تقع في منطقتنا من ثورات وانقلابات وقتل وهرج وتآمر ومكائد على أنها أحداث كونية صرفة لا تَعَلُّقَ لها بإرادة الإنسان؛ لأنَّها جرت بمشيئة الخلق محسنهم ومسيئهم وبكامل اختيارهم، ووقعت بكسب أيديهم، وبحصد أقلامهم وألسنتهم وآلات حربهم، هذا هو الوجه الإنسانيّ للأحداث، والذي يعكس التكليف والمسئولية، أمَّا بالنظر لما وراء هذا المشهد بكافَّة صوره الجزئية المتلاحقة - من سنن إلهية تحرك الوجود البشريّ في اتجاه صناعة واقع إنسانيّ جديد؛ فإنّ المشهد يختلف جد الاختلاف؛ ليصير قابلاً لوصفه بأنه كونيٌّ، ترسم ملامحه وتضع سماته يد القدرة وقلم القدر. "

لذلك لم تكن موجة الربيع العربيّ مجرد أحداث وتحركات شعبية؛ نجتهد في وزنها وتقييمها ودراسة سلبياتها وإيجابياتها، ومعرفة ما لها وما عليها، وإنما كانت إلى جانب ذلك زلزالاً بشرياً أحدث صدوعاً في التركيبة النفسية والعقلية والشعورية للشريحة البشرية القاطنة لمنطقتنا، وكشف كثيراً مما كان مخبوءاً مستوراً، وصاغ إرادة للتغيير قوية ماضية، تذبل أحياناً تحت مطارق المحن ولكنها باقية، تخبو وتخفت وتعلو وتهبط، ولكن لا تموت ولا يلفها الفناء، ولم تكن تلك الانقلابات على الموجة الثورية الآنفة مجرد جريمـــة ارتكبتها الثـــورة المضادة بمعـــاونـــة إقليمية جاهـــزة ودعـــم

دوليّ مستتر، وإنَّما كانت إلى جانب ذلك عاصفة عاتية عَرَّت ما تبقى مما كان مستوراً من فضائح وقبائح الأنظمة وأجهزتها ومؤسساتها، وكشفت العلاقة بينها وبين القوى المتحكمة في المنطقة، وفضحت أمراً آخر ما كان ليفتضح بيد أصحابه ولو أنفَقَتْ القلة الواعية عمرها كله في سبيل ذلك، وهو السذاجة والسطحية والجهل بالواقع لدى كافة الاتجاهات المناهضة للاستبداد والمقاومة للظلم ولفساد.

ولا تزال الأحداث تتوالى وتتابع وتتسارع وتتسابق؛ كأنها ثورة كونية على الزيف والخداع؛ تهدف إلى إسقاط الأقنعة وهتك الحجب وكشف المخبوء وراء ركام الوعي المزيف؛ وتساقطت في قلوب الخلق جميع الأوهام وتحطمت كل الأصنام، فأمَّا النظام العربيّ بكافة أجنحته فبرغم بقائه واستعادته لتمكنه وتجذره بالقبضة الأمنية الرعناء لم يعد له وجود في عقول الناس وقلوبهم وقناعاتهم، وأمَّا النظام الدولي بكل مؤسساته الزائفة فقد تهشم على صخور الأحداث المتوالية، فلم يعد أحد يسمع باسم شيء من هذه المؤسسات إلا ويجري بخلده شريط الأحداث المؤلمة وبمحاذاته كل حكايات النفاق والخداع والختل، وفي الجولة الأخيرة تَبَخَّر كل ما تبقي من الاحترام والتوقير للنظام الذي ظل دهوراً مستتراً وراء خدمة الحرمين الشريفين وهو يمارس بأموال المسلمين ومقدرات الأمة أبشع الجرائم؛ إحباطاً للثورات ودعماً للانقلابات وإعانة لكل مستبد ظالم.

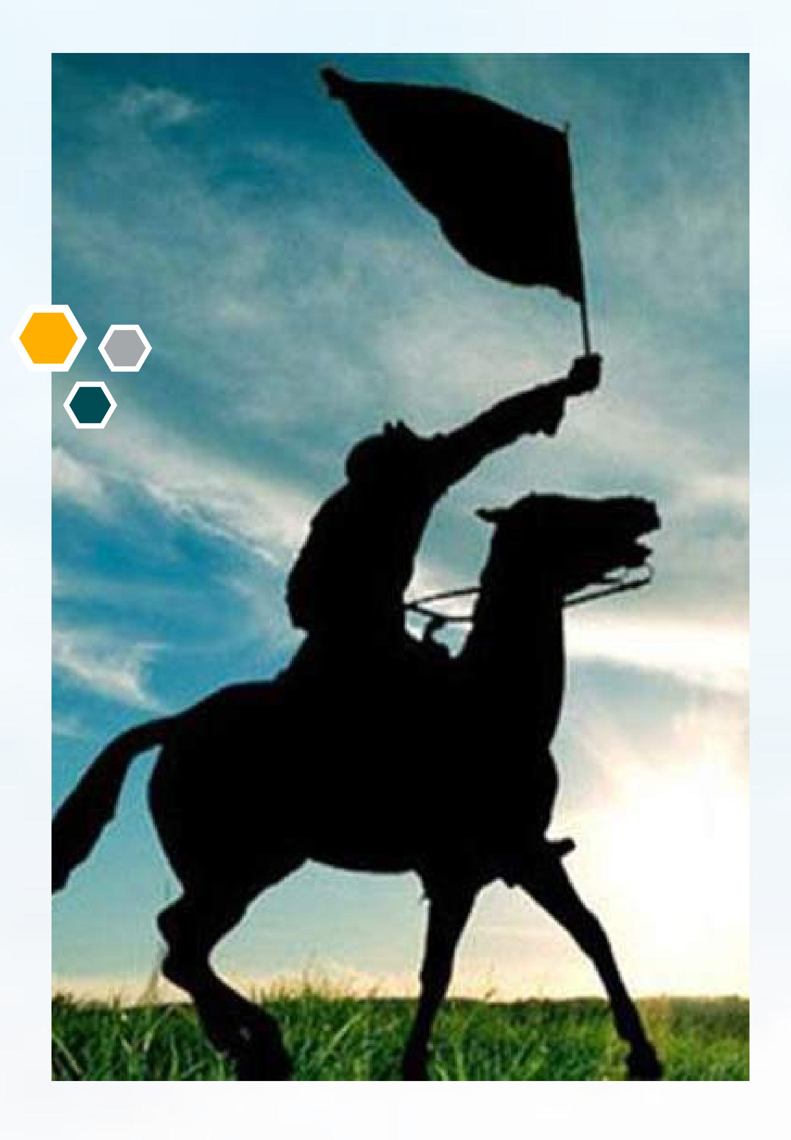
" لكن الشيء المؤكد هو أنَّ المنتج الوحيد الذي يعد مكسباً كبيراً من وراء كل هذه الأحداث هو ذلك الكمّ الهائل من الحقائق والمعلومات التي تصلح لتشكيل وعي جديد؛ يعد الركيزة الأولى في التغيير المنشود، إلى حدّ إمكان الزعم بأنّ تتابع الأحداث وتواليها وتسارعها وتزاحمها إنما جاء على هذا النحو لكون الحاجة إلى تشكيل الوعي عاجلة وملحة وعلى درجة من الخطورة تستدعي انتفاضة توعوية شاملة؛ وعليه فإنَّ واجب الوقت الأول هو صناعة الوعي على نار الأحداث الكونية الكبيرة؛ ويترتب على هذه النتيجة حزمة من المسلمات، منها أنَّ التأخر في أداء هذا الواجب يعني التأخر في الخروج من ذلك النفق المظلم، ومنها أنَّ أكبر جرم يرتكب في حق هذه الأمة في هذه المرحلة هو تفويت الفرصة على من يسعى لصناعة الوعي النظيف؛ بممارسة التشويه والتزييف. "

> وأهم تحدّ في معركة الوعي هو تحديد الأعداء وتمييزهم عن الأصدقاء، وإعطاء كل نوع من الأعداء وزنه وحكمه، والاطـلاع على ما بينهم جميعاً من عـلاقات ومصالح؛ وتقييم الأحـداث التاريخية التي رسمت ملامح الفترة السابقة، مع قدر ضروريّ من الاستشراف والتنبؤ يبنى على أصول التفكير العلميّ وعلى فهم التاريخ والواقع وربط ذلك كله بالسنن الإلهية التي تحكم حياة الشعوب والأمم والحضارات.



لذلك نجد أن من أهم مقاصد القرآن الكريم وأكبر موضوعاته صناعة وعي إسلاميّ إيماني رشيد؛ لولاه ما استطاع المسلمون أن يديروا الصراع مع الجاهلية التي كانت تموج بالعداوة عليهم آنذاك، ولاسيما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما ارتد العرب قاطبة عن الإسلام إلا أهل مكة والمدينة، وتربصت بالمسلمين من وراء الجزيرة فارس والروم، وأطلت الفتنة برأسها، وصار الصحابة في هذه المحنة ووسط هذا المحيط من العداوات كغُيَمْات مَطِيرة في ليلة شاتية حالكة الظلمة؛ يومها نهض الصحابة خلف أبي بكر لا يترددون ولا يتلعثمون، حتى القضايا القليلة التي اختلفوا في تقديرها كقتال مانعي الزكاة لم يطل اختلافهم إلا بقدر ما تتجمع الفكرة الواحدة في ذهن الرجل الواحد؛ وما ذاك إلا للمستوى الرفيع من النضج والوعي الذي يعصمهم من الزلل ومن تفرق الكلمة.

فانظر على سبيل المثال كيف كان القرآن يصنع الوعي بحقائق الرجال والكيانات ويفسر المواقف الصادرة عنها تفسيراً يجلي الحقائق ويكشف المخبوء: ففي شأن الكفار المعاندين ولا سيما أئمة الكفر منهم يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (البقرة ٦) (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)) (الحجر ١٤-١٥) (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (الروم ٢٩) (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) (غافر ٤)



(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ) (آل عمران ١٩٦) (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) (الحجر ٢) (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢)) (القلم ٥١–٥٢) (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) (القلم ٩)، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال ٧٣)؛ لذلك لم ينخدع المسلمون بالكفار ولم يلينوا لهم، ولم يقعوا يوماً في براثن الخداع التي طالما نصبوها لهم، وفرقوا في كل مراحل جهادهم بين الكبراء منهم والضعفاء.

وحتى لا ينخدع المسلمون بأهل الكتاب لكونهم أهل كتاب؛ كان القرآن ينزل بتقرير المفاهيم الصحيحة التي تنبني عليها المواقف الصحيحة: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (البقرة ١٢٠) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (التوبة ٣٤) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)) (المائدة ٥١–٥٢).



والأخطر من هؤلاء وهؤلاء المنافقون؛ فأمرهم يخفى وحقيقتهم تستتر وراء غلالة من زخرف القول؛ فليكن البيان في حقهم وافياً: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)) (المنافقون ٣-٤) (هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران ١١٩) (لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) (التوبة ٦٦) (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون ٨) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران ١١٨) (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢)) (الحشر ١١-١٢).

وِلِيَعلم الذين نافقوا

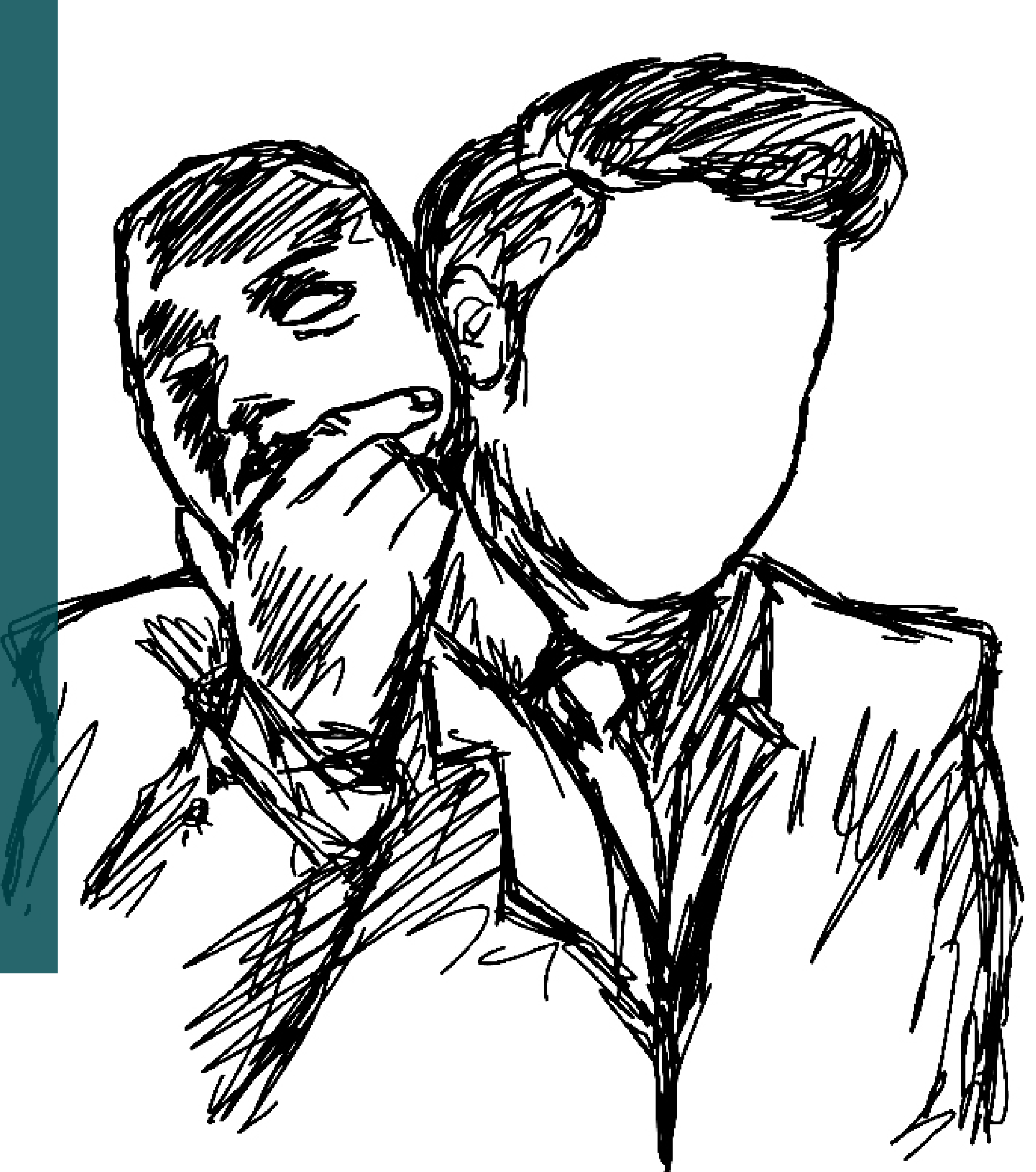
د. عبد العزيز الطريفي
(فك الله أسره)*

قال تعالى: "وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ" [آل عمران : ١٦٧].

الآية نزلت في المنافقين وفي ابن أبي وأصحابه خاصة فيمن تردد في حكم الجهاد والاستجابة لأمر الله فيه؛ وذلك أن الله أمرهم بالخروج مع نبيه في أُحد ، فرجع ابن أبي ومعه ثلث القوم؛ فاعتذروا بقولهم: "قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ" أي: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم، ولدافعنا عنكم، ولكنا لا نظن أن يكون قتال.

---

* مقال مقتطف من كتاب التفسير والبيان في أحكام القرآن، د. عبد العزيز الطريفي، ص: ٦٨٣ - ٦٨٧.



وإنما هي أعذار يظهر الله بها النفاق، وأكثر ما يظهر الله باطن المنافقين بأمرين:

الأول: بالاستهزاء؛ كما في قوله تعالى: "يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ" [التوبة : ٦٤].

الثاني: بالأعذار التي يبدونها للتملص من الحق؛ لضعفها في مقابل الحجة، وكلما كانت الحجة في وجه الحق ضعيفة، سترت خلفها كبرا ونفاقا؛ لأن النفوس لا تتشوف إلى المعارضة بلا سبب، فتبدي حججًا واهية، وأعذارًا ضعيفة؛ وهي في باطنها معاندة.

ولم يكن المنافقون يعارضون أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) في الجهاد، وإنما يعتذرون بأعذار ضعيفة؛ ففي غزوة أُحد قالوا: "قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ"، وفي تبوك قالوا: "لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ" [التوبة : ٨١]، وفيها قال الجد بن قيس: "ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي" [التوبة : ٤٩].



وفي أُحد لم يظهروا الامتناع من القتال؛ وإنما لا يظنون وقوع القتال؛ فلا يرون خروجهم بلا فائدة تتحقق، وفي تبوك لم يظهروا الامتناع من الجهاد؛ وإنما خشية الحر وحالهم لو كان بردا لخرجنا، وفي تبوك تبوك أيضًا لم يظهر الجد بن قيس الامتناع على الجهاد؛ وإنما أظهر خوف الفتنة على نفسه، وظاهره لو لم تكن فتنة فهو مقاتل، وبكثرة الأعذار لترك الحق يظهر النفاق.

وهذه الأعذار تخرجهم من دائرة الكفر الظاهر إلى النفاق؛ ولذا قال تعالى: "هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ"، فلم يحكم بكفرهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) ليؤاخذهم على الكفر؛ وإنما حكم بنفاقهم؛ ليعاملهم به؛ ولذا عقب ذلك بقوله: "يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ".

احتواء المنافقين:

ومن فقه السياسة في جهاد النبي (صلى الله عليه وسلم): احتواء المنافقين، وإن مكروا وخدعوا وخانوا؛ كما فعل ابن أبي حيث حيث رجع بثلث الجيش، فلم يعاقبهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد أُحد ؛ وإنما جهلهم في عداد الجماعة، وأخذهم في جهاد بعد ذلك؛ لأن عزلهم عن الجماعة زيادة لشرهم وخبثهم؛ فهم يرجون أن الناس تظنهم متأولين وليسوا بمنافقين، ولو أعلن نفاق من يبطن شره، أظهره وانسلخ من جلده وأعلن العداوة، وهذا لا تتشوف إليه الشريعة، واعتبارهم في الظاهر مع جماعة المسلمين لا يعنى توليتهم ولاية، ولا اتخاذهم بطانة.

تكثير سواد المسلمين عند القتال:

وفى الآية: مشروعية تكثير المسلمين عند قيام النفير، ولو كان الناس في كفاية عدد؛ فالكثرة لها أثر في نفوس المسلمين بشد العزيمة وتقوية الهمة، ولها أثر على الكفار ببث الخوف والرعب، وأكثر هزائم الجيوش معنوية أكثر منها مادية.

وقد روى ابن المنذر، عن مجاهد، عن ابن عباس؛ قال: "تُكَثِّرُوا بأنفُسِكم ولو لم تُقاتِلوا"؛ وبنحو هذا قال الضحاك وابن جريج وغيرهما [١].

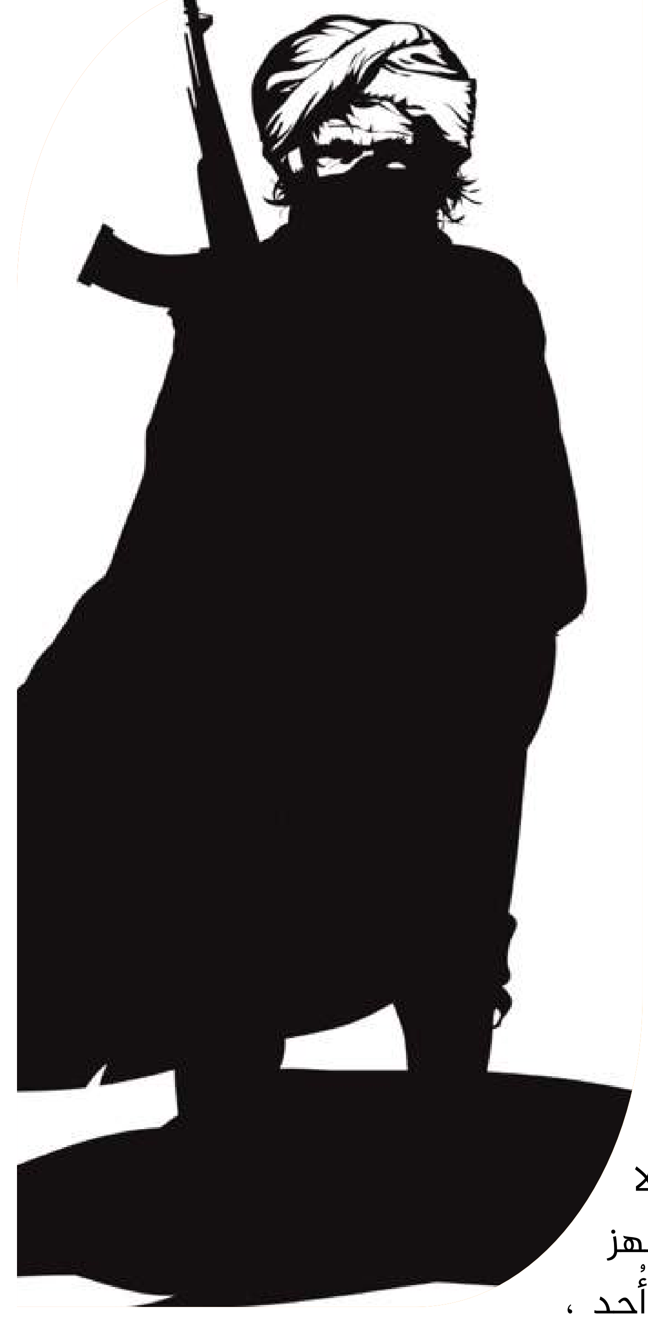
وفي الآية: أن مَن كثَّر سواد المجاهدين، فحضر معهم ولو لم يغز: أن له حكم المجاهد في الأجر والثواب.

وقال أنس بن مالك: "رأيت يوم القادسية عبد اله بن أم مكتو الأعمى، وعليه درع يجر أطرافها، وبيده راية سوداء، فقيل له: اليس قد أنزل الله عُذرك؟ قال: بلى! ولكني أُكثِّر سواد المسلمين بنفسي" [٢].

(١) "تفسير الطبري" (٦/٢٢٤)، و"تفسير ابن المنذر" (٢/٤٨٢).

(٢) "تفسير الطبري" (٥/٤٠٤).

أكثر ما يظهر النفاق:



ورُوي نحو هذا عن سهل بن سعد؛ رواه الطبراني والبخاري في "تاريخه"؛ من حديث أبي حازم عنه.

وفي قوله: "تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا" بيان لمراتب الجهاد، وأن اعلاه المواجهة مع العدو، وهو المقاتلة، وكلما كان المجاهد من العدو أقرب، كان في الأجر والثواب أعظم؛ لأن الله أمرهم أن يقاتلوا، وإن أبوا أن يكونوا من ورائهم يكثرون سواد المسلمين أو احاط بهم عدوهم.

جهاد الطلب، وجهاد الدفع:

وأخذ بعضهم من الآية الإشارة إلي نوعي الجهاد: جهاد الطلب، وجهاد الدفع؛ وهذا نسبي وليس تقسيمًا مطلقًا في الآية؛ لأن خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) في غزوة أُحد دفعٌ لا طلبٌ؛ لأنه علم بقدوم المشركين إليه فتجهز لمواجهتهم وصدهم، وهذه الآية نزلت في أُحد ، ولكن المتأخرين من وراء المقاتلين يُعدون مُدافعين بالنسبة للمتقدمين عليهم، والمتقدمين يُعَدون مقاتلين وطالبين بالنسبة للمتأخرين عنهم.

التفاضل بين جهاد الدفع والطلب:

وجهاد الطلب أعظم من جهاد الدفع؛ لأن جهاد الدفع لا يفتقر إلي نية، ومشوب بقصد حياطة الدنيا وحمايتها من نفس وأرض ومال وعرض، وأما جهاد الطلب، فالقصد فيه أكثر تجردًا؛ لاشتراط النية فيه لإعلاء كلمة الله.

ثم إن أصل جهاد الدفع من جنس الفطرة والحمية الموجودة في جنس الحيوان، كان إنسانًا أو بهيمًا، فهو يدفع المعتدي عليه، وأما جهاد الطلب، من خصائص الإنسان وأهل الإيمان، وفي جهاد الدفع حماية للدنيا وصون لها، وفي جهاد الطلب ترك للدنيا وبذل لها، وقد يكون المجاهد يُجاهد جهاد الدفع وله أجر جهاد الطلب وفضله إذا كان يدفع عن مال غيره ونفسه وعرضه وأرضه؛ فهذا في جهاده جهاد دفع، واجره أجر طلب.

وكلا الجهادين الدفع والطلب فضلهما عند الله عظيم، والأجر الوارد في الكتاب والسنة لهما في الآخرة يدخلان فيه جميعا، ولكنه عند التفاضل؛ فالطلب أفضل من الدفع في الآخرة، وجهاد الدفع أوجب في الدنيا؛ وهذه المسألة من نوادر المسائل التي يكون فيها النفل أعظم من الفرض وهما من جنس واحد.

واخذ بعضهم من قوله: "قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا" الإشارة إلي عدم اشتراط النية في الدفع، فذكر القتال: "قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" وما ذكر سبيل الل في الدفع، ولعل الأظهر: أن الله ذكر الدفع بعد المقاتلة في سبيل الله عطفا عليها، وتقديره: (أو ادفعوا في سبيل الله)؛ ولكن حذف: (سبيل الله) دفعًا للتكرار.

ولا خلاف أن جهاد الدفع لا يفتقر إلى نية؛ وإنما قصد حماية العرض والدم والنفس والمال كاف في ثبوت الأجر؛ ففي "الصحيحين"؛ من حديث عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما)؛ قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدُ" [٣].

وعند أبي داود والنسائي وغيرهما؛ من حديث سعيد بن زيد: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدُ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ ، أَوْ دُونَ دَمِهِ ، أَوْ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدُ" [٤].

وأما جهاد الطلب، فلا يُقبل إلا بنية، ومَن قاتل بلا نية، فميتته جاهلية؛ لِما في "الصحيحين": "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [٥].

---

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٨٠) (١٣٦/٣)، ومسلم (١٤١) (١٢٤/١).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢) (٢٤٦/٤)، والترمذي (١٤٢١) (٣٠/٤)، والنسائي (٤٠٩٥) (١١٦/٧).
(٥) أخرجه البخاري (١٢٣) (٣٦/١)، ومسلم (١٩٠٤) (١٥١٣/٣).

بيان علماء الأزهر لتحرير فلسطين



إثْرَ صُدورِ قرارِ تقسيم فَلَسطينَ سَنَةَ (١٩٤٧ م) أصْدَرَ عُلَماءُ الأزهرِ النداءَ التالي:
إِلَى أبناءِ العروبَةِ والإسلامِ مِنْ عُلماءِ الجامِعِ الأزهَرِ (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران : ١٣٨] [١].

---

(١) الهيئة العربية العليا فَلَسطين، حكم الإسلام في قضية فَلَسطين: فتاوى شرعية خطيرة لمناسبة معاهدة الصلح بَيْنَ مصر والعدو اليهودي (بيروت: الهيئة العليا لفَلَسطين ، مايو ١٩٧٩ ، ص (١٤ ـ ١٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مَعْشَرَ المُسلِمين: قُضِيَ الأَمْرُ وتآلَبَتْ عَوامِلُ البَغْيِ والطُغيانِ عَلى فَلَسطينَ، وفيها المَسجِدُ الأَقْصَى، أُولى القبلتينِ وثالثُ الحَرَمَينِ، ومُنْتَهى إسراءِ خاتَمِ النَّبِيِّين صَلواتُ اللهِ وسلامُهُ عَلَيهِ.

قُضي الأمْرُ وتبَيَنَ لَكُم أنَّ الباطِلَ ما زَالَ في غَلْوائِهِ، وأنَّ الهَوَى ما فَتِئَ عَلى العُقولِ مُسيطِرًا، وأنَّ الميثَاقَ الذي زَعَموهُ سَبيلاً للعدْلِ والإنصافِ ما هُوَ إلاَّ تنظيمُ للظُلْمِ والإجحافِ، ولَمْ يَبقَ بَعْدَ اليومِ صَبْرُ عَلى تِلكُمُ الهَضيمَةِ التِي يُريدونَ أنْ يُرهِقونا بِهَا في بلادِنا، وأنْ يَجْثُموا بِهَا عَلى صُدورِنا، وأنْ يُمَزقوا بِهَا أوصالَ شُعوبٍ وَحَّدَ اللهُ بيَنَها في الدينِ واللغَةِ والشعورِ.

إنَّ قَرارَ هَيئةِ الأُمَمِ المُتَحِدَةِ، قَرارُ مِنْ هَيئَةٍ لا تَمْلِكُهُ، وهُوَ قَرارُ باطِلُ جائِرُ لَيسَ لَهُ نَصيبُ مِنَ الحَقِ ولا العدالَةِ، ففَلَسطينُ مِلْكُ العَرَبِ والمُسلِمينَ، بَذَلوا فيها النفوسَ الغالية، والدِماءَ الزكيَّةَ، وسَتَبقى إنْ شَاءَ اللهُ مِلْكُ العَرَبِ والمُسلِمينَ رَغْمَ تَحالُفِ المُبطلين، ولَيْسَ لأَحَدٍ كائنًا مَنْ كانَ أنْ يُنازِعَهُمْ فيها أو يُمَزقُها.

وإذا كَانَ البُغاةُ العُتاةُ قَصدوا بالسوءِ مِنْ قَبْلُ هذهِ الأماكنَ المُقَدَّسَةِ فَوَجَدوا مِنْ أبناءِ العروبَةِ والإسلامِ قساورةً ضراغِمَ ذادوا عَنِ الحِمى، ورَدوا البَغيَ عَلى أعْقابِهِ مُقَلَّمَ الأظافِرِ مُحَطَّمِ الأَسِنَّةِ، فإنَّ في السُويْداءِ اليومَ رجالاً، وفي الشَّرى آسادًا، وإنَّ التاريخَ لعائِدُ بِهِم سيرَتَه الأولى، وسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبونَ.

يا أبناءَ العُروبَةِ والإسلام: لَقد أَعْذَرتُمْ مِنْ قبلُ وناضَلْتُم حتَّى تَبَينَ للناسِ وَجْهَ الحَقِ سافرًا ولَكِنَّ دسائِسَ الصهيونِيَّةِ وفِتَنِها وأموالَها قد استطاعَتْ أنْ تَجْلِبَ عَلى هذا الحَقِّ المُقَدَّسِ بِخَيْلِها وَرَجْلِها، فَعَمِيَتْ عَنْهُ العُيونُ، وصُمَّتْ الآذانُ والتَوَتْ الأعناقُ، فإذا بِكمُ تَقِفونَ في هَيْئَةِ الأُمَمِ وحدَكم، ومُدَّعو نُصْرَةِ العَدالَةِ يَتَسللونَ عَنكُم لِواذًا، بَيْنَ مُستهينٍ بِكُم، ومُمَّالئٍ لأعدائِكُم ومُتَسَترٍ بالصَمْتِ مُتَصَنِّعٍ للحيادِ.

فإذا كُنْتُمْ قد استنفدتُم بِذَلِكَ جِهادَ الحُجَّةِ والبيانِ، فإنَّ وَراءَ هذا الجِهَادِ لإنقاذِ الحقِّ وحِمايَتِهِ، جِهادًا سَبيلُهُ مَشروعَةُ وكَلِمَتُهُ مَسموعَةُ، تَدفَعونَ بِهِ عَنْ كَيانكُم ومُستَقْبَلَ أبنائِكُم وأحفادِكُم.

فذودوا عَنِ الحِمى، وادْفَعوا الذئابَ عَنِ العَرينِ، وجَاهِدوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[النساء: ٧٤] (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[النساء : ٧٦].

يا أبناءَ العُروبَةِ والإسلام: خُذوا حِذْرَكُم فانْفِروا ثُباتٍ أو انْفِروا جَميعًا، وإيّاكُم أنْ يَكْتُبَ التاريخُ أنَّ العَرَبَ الأُباةَ الأماجِدَ، قَد خرّوا أمامَ الظُلْمِ ساجدينَ أو قَبِلوا الذُلَّ صاغرينَ، إنَّ الخَطْبَ جَلَلٌ ، وإنَّ هذا اليومَ الفصلُ وما هُوَ بالهَزْلِ.

فَلْيَبذُلْ كُلُّ عَرَبِيٍّ ، وكُلُّ مُسلمٍ في أقصى الأرضِ وأدناها مِنْ ذاتِ نَفْسِهِ ومالِهِ ما يَرُدُّ عَنِ الحِمى كَيدَ الكائدينَ ، وعُدوانَ المُعتدينَ.

سُدُّوا عَليهِم السُّبُلَ واقْعُدوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ، وقاطِعوهم في تِجارتَهِم ومُعاملاتِهِم، وأعِدُّوا فيما بَينَكُم كَتائِبَ الجِهَادِ، وقوموا بِفَرْضِ اللهِ عَليكُم واعْلَمُواْ أَنَّ الجِهَادَ الآنَ قد أصبحَ فَرْضَ عَيْنٍ عَلى كُلِّ قادرٍ بِنَفْسِهِ أو مالِهِ وأنَّ مَنْ يَتَخَلَفُ عَنْ هذا الواجِبِ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وإثْمٍ عَظيمٍ: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة:١١١].

فإذا كُنْتُم بإيمانِكم قَدْ بِعْتُمُ اللهَ أنفَسَكُم وأموالَكُم، فها هُو ذا وَقْتُ البذْلِ والتسليمِ، وأوفوا بِعَهْدِ اللهِ يوفِ بِعَهدِكُم.

وليَشهَدِ العالَمُ غَضبتَكُم للكرامَةِ وذَودَكُم عَنِ الحَقِّ، ولْتَكُنْ غَضبتُكُم هذهِ عَلى أعداءِ الحَقِّ وأعدائِكُم، لا عَلى المُحْتَمينَ بِكم مِمَّنْ لَهُم حَقُ المواطِنِ عَليكُم وحَق الاحتماءِ بِكُم، فاحذروا أنْ تَعْتَدوا عَلى أَحَدٍ مِنهم إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ، ولتتجاوبْ الأصداءُ في كُلِّ مَشْرِقٍ ومَغْرِبٍ بالكلمةِ المُحبَّبَةِ إِلَى المؤمنين: الجِهَادَ، الجِهَادَ، الجِهَادَ، واللهُ مَعَكُمْ.

الموقعون على الفتوى:

الشيخ مُحَمَّد مأمون الشناوي (شيخ الجامع الأزهر)، والشيخ مُحَمَّد حسنين مخلوف (مفتي الديار المصرية)، والشيخ عبد الرحمن حسن (وكيل شيخ الجامع الأزهر)، الشيخ عبد المجيد سليم (مفتي الديار المصرية السابق) الشيخ مُحَمَّد عبد اللطيف دراز (مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية)، والشيخ محمود أبو العيون (السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية)، الشيخ عبد الجليل عيسى (شيخ كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر)، والشيخ الحسيني سلطان (شيخ كلية أصول الدين) الشيخ / عيسى منون (شيخ كلية الشريعة)، والشيخ مُحَمَّد الجهني (شيخ معهد القاهرة)، والشيخ عبد الرحمن تاج (شيخ القسم العام)، والشيخ محمود الغمراوي (المفتش بالأزهر)، وأعضاء جماعة كبار العلماء وكثير من غير هَؤلاءِ العلماء والمدرسين في الكليات والمعاهد الأزهريَّة في القاهرة والأقاليم المصريَّة.

* * *

أدب الأزمة

د. مجدي شلش

وطن يُبـاع، شعب يحطـم، ثـورة تخمـد، شباب يقتل، نساء تعتقل وتغتصب، أرامل حزينة، أمهات ثكلي، آباء بلا حـول ولا قـوة.

سجـون قبـور، تعـذيب قـاتـل، طعـامهـم الصبر، مشربهم الإيمان، ملبسهم التقوى، حياة برائحة الموت، وموت فيه بعض رائحة حياة، عظام تتحرك، قلوب بالثبات ساكنة، وصدور بالإيمان والنصر مطمئنة.

شهداء جادوا بدمهم من أجل قضيتهم، باعوا النفس والنفيس لتطهير الأرض من الرجس والوسخ، ارتفع أفضل ما فينا ثمناً لحياتنا وحياة أمتنا، هم الآن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.

مطاردون بلا وطن، مشردون بلا مأوى، سائحون بلا سكن، شبابنا حيران، نساؤنا حبلي بالغم والأحزان، صغيرنا تائه، كبيرنا أقرب للفقد والحرمان، الكل حزين ومكلوم، ضحكهم بكاء، لعبهم ترح، وتنزههم خوف وفزع.

أزمة يرى البعض أن الأمة لم تمر بمثلها، تكالب الأعداء من الداخل والخارج، صفقات كبري على هوية الأمة، وضربات للثوابت بمكر الليل والنهار، الأمة كأنها تنتظر الجلد والسلخ بعد الذبح، مالها في الأفق الدنيوي البشري من ظهير ولا نصير.

" الأزمات الكبرى لها رجالها وشبابها، مفكروها وعقلاؤها، عظماؤها أصحاب الأدب الراقي، والسلوك الجامع، نفوسهم من الأحقاد خالية، وأرواحهم من السمو عالية، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم لإخوانهم غضاضة، أهل إيثار وكرم وما معهم إلا الخصاصة. "

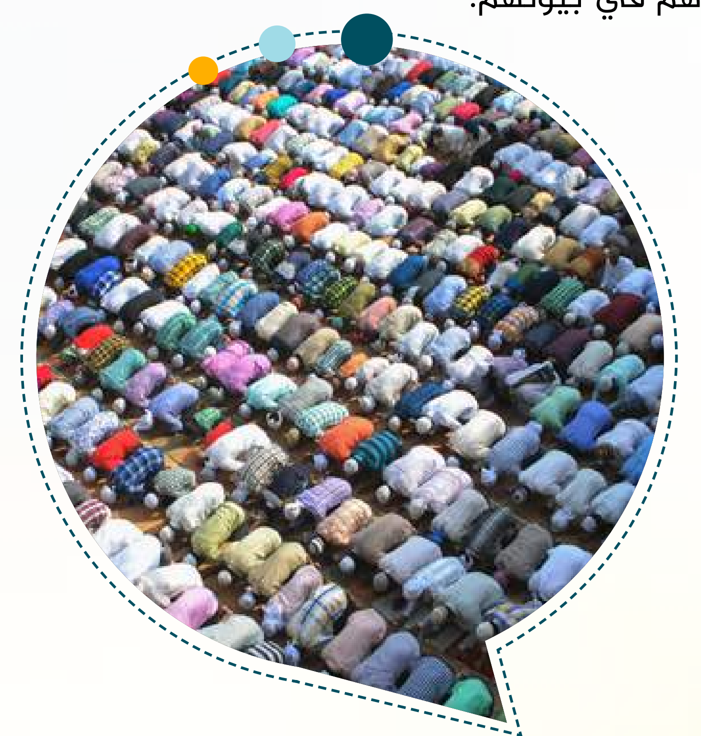
أزمتنا كبيرة تحتاج إلى رجال كبار القلوب والعقول يأخذون بيد القريب، ويكرمون البعيد، تتألف بهم القلوب، وتنشرح بهم الصدور، وجوههم رغم الأحزان مبتسمة، ونفوسهم رغم الضيق متسعة، وبيوتهم قبلة الأحرار من كل لون وطيف، بأدبهم يقرب البعيد، وبسلوكهم يعود الشريد.

نعم القوم الأشعريون كانوا إذا أرملوا في الغزو جمعوا ما عندهم من مال فاقتسموه بالسوية، هم مني وأنا منهم، هكذا أدب الغزو إذا نتج عنه أرامل فقط، ونحن في أزمة أشد من فقد الأرامل لأزواجهن، إنها أزمة هوية أمة.

هنا تتجلى الرجولة والشهامة وتظهر معادن الناس، كيف يتقلب أخ في النعمة ويعلم أن أخاه بلا مأوى؟ كيف ينام ويقوم ويقعد وهو يعلم أن شباباً بلا عمل ولا سكن ولا طعام أو شراب؟ الأشعريون مدحوا قبل إسلامهم، وهكذا طبيعة العربي المسلم الأصيل الكرم والنجدة والشجاعة.

الخسة والنذالة والرخص لمن ملك وحرم لمجرد الاختلاف معه في الرأي أو الوجهة، لا إنسانية ولا أخوة لمن حارب أحبابه وإخوانه في قوت يقيم به نفسه وعياله، أخوة شكلية لا رصيد فبها من ذرة شهامة أو حب أو إنسانية.

رأيت بأم عيني رجالا كراماً أخرجوا أولادهم من التعليم لعدم النفقة، وقد كانوا من أكرم الناس مع إخوانهم قبل خروجهم من ديارهم، ونساء وبنات خرجن للعمل في المقاهي والمطاعم لقلة ذات اليد وكن من أهل الفضل والجود مع زوارهم في بيوتهم.



" الأزمات الكبرى الأصل أن يلتحف الناس بلحاف واحد، ويجمعهم طعام واحد، وكساء واحد، ومسكن واحد، أول درجات الثبات حتى يأتي النصر أن يجد الفقير عند الغني ما يكفيه، والضعيف عند القوي ما يحميه، واليتيم عند القائد ما يرشده ويؤويه. "

ديننا دين السمو والرفعة والعطاء، منه تعلمنا فضل الحب والأخوة والإيثار، دخلت امرأة الجنة لأنها أكرمت وسقت كلباً رغم زناها، وبعض إخواننا يمنعون إخوانهم الحب والصفاء لأنهم تكلموا في حقهم وقد قرؤوا قوله تعالى: { وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: ٢٢]

ليس بعد حادثة الإفك من جريمة في حق الأب، وقد منع أبو بكر الصديق رضي الله عنه العطاء لخوض مسطح في عرض ابنته الطاهرة، أزمة كبيرة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، إلا إن أدب القرآن تنزّل بالعفو والصفح واستمرار العطاء حتى يجود الله عليه بالعفو والمغفرة.

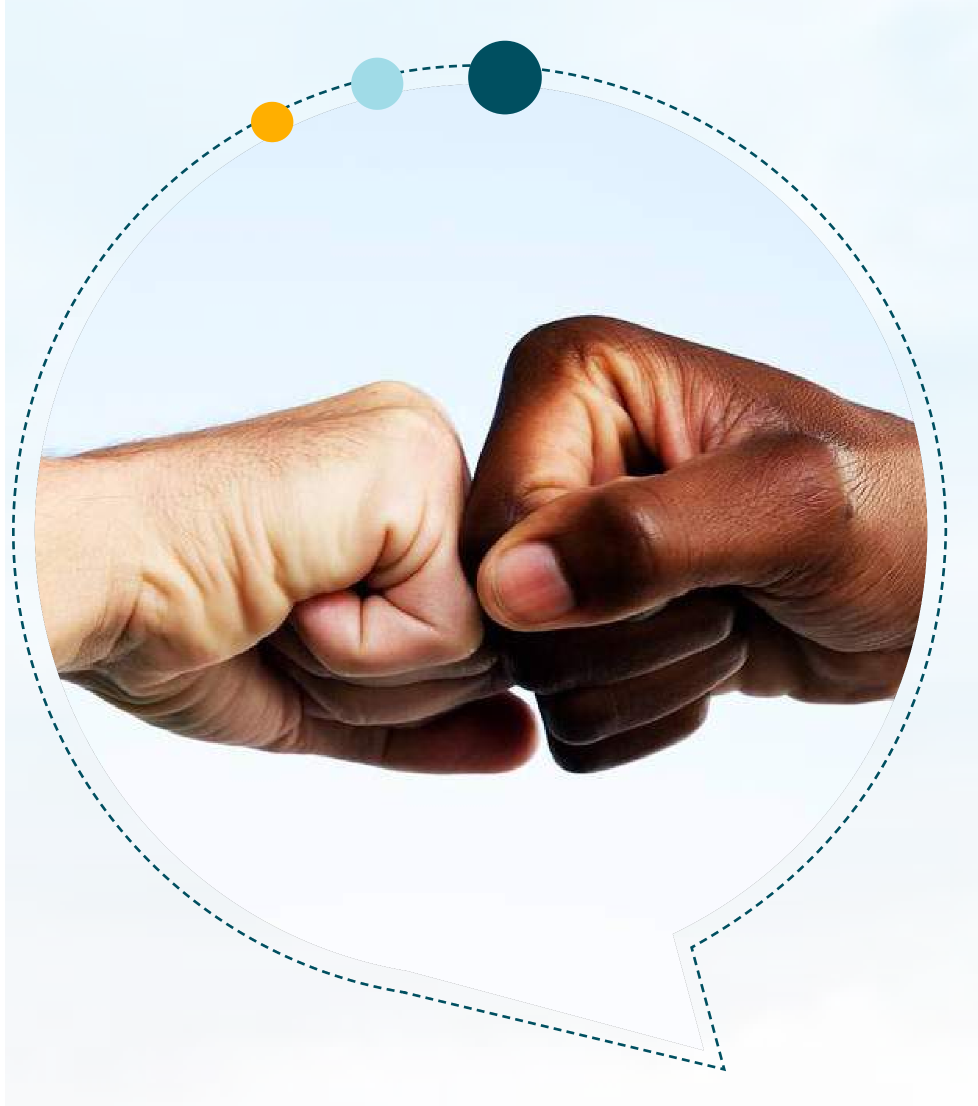
كفى بالمرء أدباً وحسناً أن تعد معايبه، ومن منا بلا عيب أو خلل أو تقصير كلنا ذلك الرجل، تمنع عن أخيك حقه في الحب والحنان لمجرد ذنب ارتكبه وهو في أزمة، والأزمات الكبرى تذهب بلب العقلاء فما بالنا ببعض الشباب خرجوا من ديارهم بلا أب معهم يربي، ولا أم تحن، فكن أنت الحاني وإن جهلوا.

تعلمنا من دعوتنا أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، ولا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم، أناس لمجرد أن تختلف معهم قالوك ورجموك وبألسنة حداد قتلوك، أناس عشت معهم عشرات السنين، عملنا وأكلنا وشربنا ونمنا معاً وقد نسوا الفضل بيننا.

" في الأزمات الكبرى يترفع الإنسان بلسانه عن إخوانه، فلا يذكرهم إلا بالخير، بعض الشباب حاد من شدة الأزمة فطال لسانه، وساء أدبه، وخلط بين النصح المؤدب الذي يرتكز على الفكر والهدف وبين السب بالأم والأب والأهل وهتك الستر وشتان ما بين الأمرين من سلوك وأدب. "

أروع الأدب في الأزمات الهدوء في التفكير والتقييم لما فات، لا بشر بلا خطأ، ولا عصمة لحركة أو جماعة، التشنج بأن كل أمورنا علي الصواب خطأ محض، والتسرع في تقييم الأزمة خطل وخلل، وترك التقييم كلياً مصيبة وكارثة، النظر فيما فات لتقويم ما هو آت عقل وحكمة ورشاد.

أدب الأزمات تقديم ذوي الكفاءات، الأزمات الكبرى لها العقول العظمي، من كل الأطياف والاتجاهات، شرعياً وسياسياً ومالياً وإعلامياً وحقوقياً، فرصة لتكوين وتأهيل رجال دولة في شتى المجالات والتخصصات، في الأزمات الكبرى لا مكان للمطبلين والمادحين بحق أو غير حق، الأزمات الكبرى لا تحل برؤى أهل الثقة إن كان عندهم نظر، أو المنافقين إن كان عندهم دين، أو المصلحجية إن كان عندهم نخوة وكرامة.



"الأزمات الكبرى أدبها القريب الصحيح فقه المضاربة لا فقه الودائع، ترك الأمور على ما هي عليها أقرب لحفظ الأمانات حتى يأتي وقتها، ويخرج أهلها، إن صح هذا في الأمانات الصغري لا يصح في الأمانات الكبري، وقد منحنا الله العقل والحكمة والبصيرة، وهم بحمد الله من جميع الأطياف والاتجاهات كثر، فضارب بهم في سوق العمل بكل قوة ولا تخف ولا تخجل."

شتان بين فقه الودائع القائم على الركون والخمول وإن كان فيه نوع حفظ، وبين فقه المضاربة القائم على التصور الصحيح للسوق، ثم العمل الذي لا يخلو من مخاطرة أو مغامرة، في النهاية الربح غالبا يكون للمضارب المغامر لا للحافظ الكسول.



المسألة الخاشقجية

حامد عبدالعظيم

بات مؤكداً أن الصحفي **جمال خاشقجي (٦٠ عاماً)** قد قُتل في مقر القنصلية السعودية بمدينة إسطنبول، بل وتشير العديد من التسريبات عن مسؤولين أتراك أن خاشقجي قد عُذب وقُطّعت جثته لإخفائها.

ونحن إذ نرجو الرحمة لجمال خاشقجي إلا أننا نريد الاستفادة من هذه المسألة على مستوى الوعي ومستوى العمل، فلا يحدث أمر في هذا الكون إلا لحكمة يعلمها الله تعالى، ويعلم بعضها من شاء من البشر.

(١) لقد فضح هذا الحادث النظام السعودي، وأظهره في حُلته الشيطانية الحقيقية للجميع، والتي كان يخبئها دوماً ويسترها بحُلة كاذبة ملائكية مزورة، تتمثل في أنه حامي الحرمين الشريفين وخادمهما، وأنه حارس "السلفية" والدين الصحيح والعقيدة الصافية النقية من الشرك! تلك "السلفية" التي استخدموها لغسيل عمالتهم وتبييض وجوههم، أمام العالم الإسلامي، ولتخدير دماغ البسطاء ومحبي النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته والتابعين لعدم رؤية نظامهم العميل على حقيقته.

لقد خُدع كثير من المسلمين في هذا النظام الطاغوتي لعشرات السنين، وأصبحت السعودية في نظرهم بلاداً إسلامية تطبق الشريعة! وكأن الشريعة محصورة في حدود ضيقة ولا تشمل السياسة والاقتصاد ولا تحوي العدل والحرية والحق، وأصبحت في نظرهم قبلة طلبهم للعلم وقبلة صيامهم لشهر رمضان، فتجد بعضهم يؤجل ويُقدم صيامه حتى تعلن السعودية رؤيتها للهلال، حتى وإن ظهر الهلال في بلده أو لم يظهر بعد. باعتبار أن السعودية نظام ثقة لا يتحرك في شاردة ولا واردة إلا على هدي الشرع وهداه!

ولكن هذا الحادث قد عرّى هذا النظام أكثر، وتركه بلا ساتر يستر به عورته، واتضح أنه نظام دموي لا يتحرج من تقطيع جثة مواطن بالمنشار لمجرد أنه ينتقد سياسات بلاده، وأنه نظام وظيفي يأتمر بأمر سيده، لا فرق في ذلك بينه وبين أي نظام عميل آخر، وهو الأمر الذي كان واضحاً لدى العقلاء منذ عهد عبد العزيز آل سعود عميل بريطانيا، واستمر في أبنائه من بعده حتى أصبحت السعودية محتلة احتلالاً شبه كامل من أمريكا، احتلال سياسي واقتصادي، بل وحتى عسكري.

(٢) هذا الحادث وطريقة وسرعة تنفيذه، يؤكد بشكل كبير أن هذه ليست المرة الأولى التي يقوم فيها هذا النظام بتلك الأعمال الإجرامية التي تشبه أعمال عصابات المافيا، وأن آلاف الأسرى المعتقلين لديه ليسوا بعيدين على الإطلاق عن هذا المصير، فإن كان قد فعل ذلك بمَن هو في بلد آخر فكيف يفعل بمن هم عنده وفي سجونه ولا يعلم أحد عنهم شيئاً؟ لذلك فالعمل على تحرير الأسرى من السجون السعودية هو أم لازم وحتمي، خاصة وأنهم نخبة المجتمع السعودي الحقيقية وأهل الصدق والحق فيه، ولم يبقَ خارج السجون إلا أبـواق النظام كعائض القرني والعريفي والمغامسي والفوزان وغيرهم، وقلة نادرة من أهل الصدق لا يُسمع لهم صوت.



(٣) في حادثة خاشقجي دروس كثيرة للنشطاء الذين تطاردهم أنظمتهم العميلة، فالنظام العميل سواء السعودي أو المصري أو الإماراتي أو غيرهم وأجهزة استخباراته تزعجهم وتقض مضاجعهم المعارضة بأنواعها، من المعارضة بالكلمة إلى المقاومة بالسلاح، ولن يتورع أبداً عن اغتيال معارضيه في الخارج ليرهب الآخرين، وهذا المقصد الرئيسي من قتل خاشقجي ولكنه انقلب على رأس فاعليه.

"لذلك يجب الأخذ في الحسبان أن قنصلية الأنظمة الطاغوتية ما هي إلا مقرات استخباراتية تراقب وتجمع المعلومات عن المعارضين، فهذه وظيفة أساسية لها مع وظائفها القنصلية الأخري. فلابد من تجنب التعامل مع هذه القنصليات قدر الإمكان، وفي حالة الذهاب إليها للاضطرار يجب اصطحاب صديق لينتظر في الخارج حيث يعلم موظفو القنصلية أنك لم تأتِ وحيداً فيستفردوا بك."

ومعلوم أن موظفي القنصلية يأخذون المتعلقات الشخصية للشخص قبل أن يدخل القنصلية، لذلك فترك المتعلقات الشخصية مع صديقك أو زوجتك أو ابنك أو أياً كان من ينتظرك خارج القنصلية هو أمر ضروري، مثل أوراقك المهمة ومحفظتك وهاتفك ومفاتيحك، وخذ فقط المبلغ المالي الخاص بمعاملتك وجواز سفرك، واحذر أن تكتب عنوانك الذي تقيم فيه بدقة. وبعد كل هذه التنبيهات يظل الذهاب إلى قنصلية هؤلاء أمراً خطيراً.

(٤) الدرس الذي يكرره قتل خاشقجي والذي لا يريد أن يتعلمه الكثيرون ويتملص من حقيقته الأكثر، أن العمل على إسقاط هذه الأنظمة الإجرامية هو واجب الوقت، وأنه لن توجد عدالة أو حقوق إنسان أو حرية أو إصلاح أو شريعة في عهد هؤلاء، فهم لن يسمحوا بأي جهد من شأنه أن يحقق الاستقلال عن التابعية لأمريكا، ولن يرضوا بأي تجمع إصلاحي ديني باستثناء تجمعات أبواق وعلماء السلطان، ولن يتركوا أي سعي نهضوي يتكون إلا ويقضون عليه في مهده. فإسقاطهم هو واجب وفرض هذا العصر الذي يأثم به المسلمون جميعهم إذا لم يقُم به بعضهم؛ لِما يفسدونه من البلاد والعباد، والحاضر والمستقبل، والدين والدنيا.

(٥) ولكن الحديث عن إسقاط هذه الأنظمة يستدعي حديثاً آخر ذا شجون، لا ينتبه له إلا أفذاذ الناس، ويُقصر فيه السواد الأعظم للأسف الشديد، وهو حديث الكوادر، فلا يكفي الحث على إسقاط هذه الأنظمة دون سؤال ما بعد النظام العميل، حتى لا تتحول الثورات إلى مجرد نظام عميل جديد، لذلك فالتخطيط والتنظيم والإنفاق السخي من أجل إعداد الكوادر السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والتكنولوجية وغيرهم، مهم للغاية ومن ضمن واجبات الوقت أيضاً، وذلك سعياً لإعداد نخبة حرة ووطنية تحترم دينها وتعرفه، وتعي واقعها بدقة، وتتخصص في مجال تحتاجه الأمة، ويكون لديها الجاهزية لخدمة الأمة عند الاحتياج إليها، وقبل ذلك تعمل بكل طاقتها لإسقاط الأنظمة الظالمة والتأسيس لأنظمة إسلامية عادلة.

"وأكثر ما يجعل الناس يغفلون عن ذلك أنهم ينظرون إليه أنه أمر بعيد المدى، منشغلين بدلاً منه بمستجدات الواقع، وهذا لعمري خسارة عظيمة لن يدركوها إلا عند حدوث الأمور الجلل الكبار والتي يبحثون فيها عن متخصصين فلا يجدون إلا من صُنعوا على أعين الاحتلال والأنظمة العميلة. وقد مرت سبع سنوات على الثورات العربية، وقد كانت هذه الفترة كفيلة بصنع كوادر في مجالات عدة، وهو ما حدث بقدر ضئيل جداً للأسف الشديد."



نسأل الله أن يرحم جمال خاشقجي وأن يوقظ الأمة من غفلتها وركدتها.

klmtuhaq



العدد السادس عشر ، نوفمبر ٢٠١٨ | كلمة حق

www.klmtuhaq.blog

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم